

# نقاش حول أفكار الإخوان المسلمين



حامد فتحي  
صحفي مصري

# الجنديّة عند الإخوان المسلمين: مصائر الطاعة العمياء

من يقرأ كتاب «رسالة التعاليم» لحسن البناء، يشعر كأنّ الرجل يخاطب جنوداً، ويؤهلهم لأدوار عسكرية، بشكل يناقض تماماً الصورة التي ترسمها جماعة الإخوان عن نفسها كجماعة دينية دعوية؛ إذ إنّ الدعوة الدينية لا تتطلب الإعداد البدني والتدريب الشبيه بالعسكري.

قبل تتبع فكرة الجنديّة أو تدريب أعضاء الإخوان كجنود، سواء فيما يتعلق بمبادئ الجنديّة من السمع والطاعة والولاء والتراتبية الهرميّة، أو الإعداد البدني المؤهل لاستخدام السلاح وقت الحاجة، تجدر العودة إلى مرحلة ظهور هذه الفكرة عند حسن البناء.

## للخاصة لا العامة

في مقدمة كتاب رسالة التعاليم كتب البناء «هذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات، وهي ليست دروساً تُحفظ، ولكنها تعليمات تُنفذ، في العمل أيها الإخوان الصادقون.»

ثم كتب موضحاً «أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات، وكلا وعد الله الحسنى.»

## «يقول حسن البنا في «رسالة التعاليم»: على قدر الثقة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها»

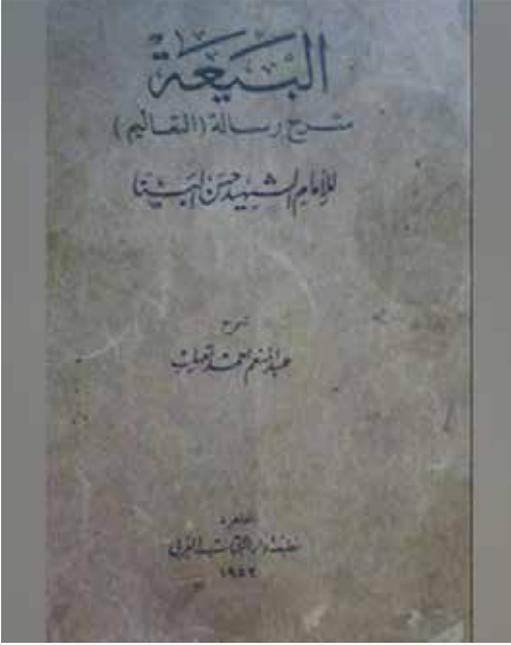
يقول الباحث في الفكر الإسلامي، هاني عمارة، إنَّ رسالة التعاليم كانت موجهة للنظام الخاص فقط، وهم من قصدهم البنا بقوله «الإخوان المجاهدون من الإخوان المسلمين»، لأنَّه قسم الإخوان إلى؛ الخصوص، وهم من وجه لهم رسالة التعاليم وطبق عليهم مفهوم الجندية، والعموم ممن خصص لهم الدروس والمحاضرات والأمور التنظيمية العامة وغير ذلك.

وأضاف لـ«حفريات» بأنَّه بعد مقتل البنا حوّل الإخوان رسالة التعاليم من الخاصة إلى العموم، وأصبح كل منتسب للجماعة يتعامل معها على أنَّها الكتاب المقدس للإخوان.

يستشهد عمارة من واقع تجاربه الشخصية مع عدد من قدامي أعضاء جماعة الإخوان بأنَّ هؤلاء أطلق عليهم مسمى «الإخوان الكبار» وهم من عاصروا حسن البنا، والتحقوا بالإخوان لكن لم يكملوا في التنظيم، ومع ذلك ظل لهم وضعهم بين الجماعة. وتابع بأنَّ هؤلاء كانوا يتحدثون عن الإخوان كأنها جماعة خيرية، ويفخرون بدورهم الخيري وقت انتسابهم للجماعة، لكنهم لم يكونوا على علم بكتاب رسالة التعاليم، ولم يقرأوا لسيد قطب أو تنظيرات الإخوان.

حين قُتل البنا عام ١٩٤٩ كان عمر جماعة الإخوان ٢١ عاماً، وهو وقت كاف لإعداد كوادر شبابية، تولت لاحقاً قيادة الجماعة، وكان لها دور في تعميم طابع التنظيم الخاص على عموم الجماعة، خصوصاً بعد مقتل البنا وإعدام سيد قطب.

## الجنديّة عند البنا



رسالة التعاليم: كتاب التنظيم السري للإخوان

جعل البنا من الجنديّة إحدى صفات المسلم، كتب «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

يلق الباحث هاني عمارة بأنّ مفهوم

الجنديّة من أخطر الأفكار عند الإخوان؛ لأنّهم يربون الأفراد على الاستعداد للقتال والتضحية والطاعة. ولفت إلى أنّ البنا جعل فكرة الجنديّة ركناً أساسياً في تكوين المسلم، بالمخالفة للسائد في الفقه الإسلامي، الذي ينظر لمسألة الجيوش كما تفعل الدولة الحديثة اليوم.

كتب البنا موجهاً حديثه للتنظيم الخاص «أركان بيعتنا عشرة فأحفظوها؛ الفهم والإخلاص والعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة».

ويظهر أنّ البنا كتب «رسالة التعاليم» بعد تلقي البيعة الأولى من المجموعة الخاصة التي وصفها بالمجاهدين، ولهذا كتب «وأنت بانضمامك إلى هذه الكتيبة، وتقبلك لهذه الرسالة، وتعهدك بالبيعة، تكون في الدور الثاني، وبالقرب من الدور الثالث».

في مواطن عدة من «رسالة التعاليم» جاءت لفظة الجنديّة والكتيبة، وتوجيهات عديدة تتعلق بالطاعة وتنفيذ الأوامر، ومن ذلك «أريد بالثقة اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً ينتج الحب والتقدير والاحترام والطاعة». وفي موضع آخر «على قدر الثقة بين القائد والجنود تكون



هاني عمارة: البنا جعل الجندية ركناً في تكوين المسلم

قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات».

أما تحت عنوان «واجبات الأخ العامل» فذكر البنا «أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفةً تامة، وتُعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك»، وكتب أيضاً «أنّ تعتبر نفسك دائماً جندياً في الثكنة تنتظر الأوامر».

وبعد تفصيل أركان البيعة، كتب البنا «هذا مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات: الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شرعتنا، والجهد سبيلنا، والشهادة أمنيّتنا.» وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى «البساطة والتلاوة والصلاة والجندية والخلق».

جدير بالذكر أنّ هذا الشعار انتقل من التنظيم الخاص إلى شعار عام لكل فرد من جماعة الإخوان المسلمين، وذلك مع سقوط الحد الفاصل بين التنظيم الخاص والجماعة. ولهذا فكما أثبت الواقع أنّ النزوع نحو العنف بنية أساسية في تكوين جماعة الإخوان المسلمين.

# «الباحث المصري هاني عمارة لـ»حفريات«: مفهوم الجندية من أخطر الأفكار عند الإخوان؛ لأنهم يربون الأفراد على الاستعداد للقتال والتضحية والطاعة»

## معسكرات التدريب البدني

في مذكرات حسن البنا بعنوان «مذكرات الدعوة والداعية»، كتب بعد انضمام عدد من طلاب جامعات للإخوان «نهني هيئة الإخوان بانضمام هذه الكوكبة المؤيدة إلى كتيبة رجالها العاملين». وكدلالة على هيمنة فكرة التكوين العسكري على فكر البنا، كان من بين مقررات المؤتمر الثالث للجماعة، تحت عنوان «منهاج الإخوان المسلمين» ما يلي: «كل أخ لا يلتزم بهذه المبادئ لنائب الدائرة أن يتخذ معه العقوبة التي تناسب مع مخالفته، وتعيده إلى التزام حدود المنهاج، وعلى حضرات النواب أن يهتموا بذلك فإنَّ الغاية هي تربية الإخوان قبل كل شيء». أما قبول ذلك التأديب فكتب البنا عنه بأنَّ من واجبات الأخ العامل «قبول مناصفات الإخوان التأديبية».

أما في نهاية المؤتمر العام الثالث، فجاء في الكتاب «وكان مسك الختام أن بايع حضرات الإخوان فضيلة المرشد العام على الثقة التامة والسمع والطاعة في المنشط والمكره»، وهي نفس البيعة التي تتبعها الجماعات المصنفة إرهابياً مثل داعش والقاعدة.

وجاء في الكتاب تفاصيل عديدة حول التدريب البدني، منها تحت عنوان «مظاهر النشاط الأسبوعي»، ما يلي؛ ليلة الكتيبة، يوم المعسكر. ويشمل يوم المعسكر التالي: «الجندية، التدريب، الاستعداد للجهاد المقدس، ذلك هو ما يعني به الإخوان المسلمون كل العناية، فيه يتكون الجيش الإسلامي وبه يستطيع أن يحق الأمل ويرفع اللواء عالياً. نرجو أن يكون لهذه الناحية أكبر قسط من اهتمام الإخوان فيعطون لأنفسهم كل أسبوع عرضاً عسكرياً يتدربون فيه».



وظف الإخوان الحركة الكشفية للإعداد العسكري

تُذكر تلك الفقرة بالعرض العسكري لطلاب الإخوان المسلمين في جامعة الأزهر في مصر عام ٢٠٠٦، ما يدل على تطبيق الجماعة لتلك التعاليم بشكل منتظم، حتى تصنيفها جماعة إرهابية في مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

أما في قسم الرحلات الصيفية، فجاء «الغرض من هذه الرحلات التدريب العسكري والتعارف ونشر الدعوة في ضواحي القاهرة. ويشترط أن يكون لدى الأخ لباس الجوالة أو التدريب العسكري.» تلك المعسكرات أطلق البناء على رئيستها مصطلح «حكمدار» وهو رتبة في إدارة الشرطة في مصر إبان العهد الملكي.

يقول الباحث في الفكر الديني، هاني عمارة، بأن فرق الكشافة كانت الستار لتدريبات الإخوان، وكذلك فعلت الجماعة الإسلامية في السبعينيات، حتى تدخلت الحكومة لضبط ذلك. وذكر عمارة بأن أهم من نُظر لمفهوم الجندية بعد حسن البناء، هو محمد السيد الوكيل (ت ٢٠٠٢) وله كتاب بعنوان «القيادة والجندية في الإسلام».

لئن كان حسن البناء أسس التنظيم الخاص الذي ارتكب أعمال عنف واغتيالات بحق قيادات في الدولة المصرية في العهد الملكي ودبر محاولة اغتيال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فإن الجماعة من بعده طبقت مبادئ الجندية

بشكل عام على جميع المنتسبين للجماعة. لهذا يوجد خيط رفيع بين المنتسب وتحوله إلى العنف حين تصدر له الأوامر، كما حدث في مصر بعد ثورة يونيو ٢٠١٣.

تلك المفاهيم وغيرها تثبت ادعاءات الإخوان المسلمين بأنهم جماعة إصلاحية تهدف لخير المجتمع أو تؤمن بقيم الديمقراطية والحرية وتداول السلطة، فمثل تلك الطاعة العمياء لا تحمل أيّاً من قيم الحرية أو الديمقراطية أو السلم.

# كيف نظر سيد قطب للفاشية في كتابه «معالم في الطريق»؟

تُعطي لفظة الجاهلية التي استخدمها سيد قطب بكثرة في مؤلفاته إحياءات دينية، على غرار المعاني التي تحملها اللفظة حين تُطلق على الفترة التاريخية في شبه الجزيرة العربية، قبل البعثة المحمدية. وحين يصف قطب واقع مجتمعات المنطقة بالجاهلية، يتبادر إلى الذهن أنَّ المسلمين في بلدان العالم كافة ارتدوا إلى عبادة الآلهة التي عرفت بها شبه الجزيرة العربية، وأشركوا بالله.

ومن غير المرجح أنَّ سيد قطب قصد هذا بكتاباتة بشكل عقدي، على غرار تناول التيارات السلفية لمسائل يرونها تدخلاً في أبواب الاعتقاد الديني، مثل زيارات القبور والتبرك بالأولياء والنذور وغير ذلك، من الممارسات المرتبطة بالصوفية الشعبية.

## الجاهلية عند قطب

ومن خلال كتاب «معالم في الطريق» لسيد قطب يمكن فهم المقصود بالجاهلية. في مقدمة كتابه جاء «إنَّ العالم يعيش اليوم كله في جاهلية، من ناحية الأصل الذي تنبثق منه مقومات الحياة وأنظمتها. جاهلية لا تخفف منها شيئاً هذه التيسيرات المادية الهائلة، وهذا الإبداع المادي الفائق.»

أما ماهية هذه الجاهلية، فيقول إنها «تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية؛ وهي الحاكمية. إنها تسند الحاكمية إلى البشر، فتجعل بعضهم لبعض أرباباً، لا في الصورة البدائية الساذجة

## «إذا كان طرح الجاهلية عند سيد قطب، هو سلطوية ماضوية مقابل سلطوية حديثة، فلماذا وسع فكرة الجاهلية لتشمل الواقع كله؟»

التي عرفتها الجاهلية الأولى، ولكن في صورة ادعاء حقّ وضع التصورات والقيم، والشرائع والقوانين، والأنظمة والأوضاع، بمعزل عن منهج الله للحياة، وفيما لم يأذن به الله، فينشأ عن هذا الاعتداء على سلطان الله اعتداء على عباده».

ولا يربط قطب الجاهلية بممارسات أفراد، ليكون كدعوة دينية، على غرار دعوة محمد بن عبد الوهاب في نجد، وغير ذلك، بل يقصد قضية الحكم، أي السلطة، وهو الأساس الذي تُفهم منه كتاباته، التي تتسم بالتعميم والشمولية، التي تتسق مع كونه منظراً شمولياً، ذا رؤية سياسية، وليس صاحب موقف ديني كالتيارات السلفية التقليدية.

وفي تكملة الفقرة السابقة المنقولة عن قطب، يظهر هذا التعميم الذي يشمل البشرية بأكملها، يقول «وما مهانة الإنسان عامة في الأنظمة الجماعية، وما ظلم الأفراد والشعوب بسيطرة رأس المال، والاستعمار في النظم الرأسمالية، إلا أثراً من آثار الاعتداء على سلطان الله، وإنكار الكرامة التي قررها الله للإنسان».

ويرى قطب بأنّ العالم يحتاج إلى المنهج الإسلامي، الذي فيه وحده يتحرر الإنسان من العبودية في النظم الرأسمالية والاشتراكية الشرقية (المعسكر الشرقي آنذاك).

### البعث الإسلامي

وبعد أنّ حدد قطب أزمة العالم الحديث، ووضع العلاج في ضرورة سيادة المنهج الإسلامي، وتعبيد العباد لرب العباد، بعد تخليصهم من العبودية للبشر من أمثالهم، انتقل إلى تحديد الأشخاص المناط بهم هذه المهمة العالمية. ولأنّ



المفكر الذي وضع يده على الداء والدواء، فهو الأجدر بتحديد الخطوات المطلوب اتباعها لتحقيق هذه المهمة الكبرى، وتلك الخطوات، تنزل على قطب بإلهام رباني: «هداني الله إلى معالم هذا الطريق».

فالطريق الذي قصده قطب، هو طريق تحقيق تلك الغاية السابقة، والمعالم هي الخطوات والمنهج الذي وضعه لتتبعه الطليعة المؤمنة، ومن هنا جاء العنوان «معالم في الطريق»، فهو كتاب حركي، يؤكد أنّ قطب وظف الديني لهدف سياسي.

يرى الناشط السياسي، آرام كيوان محاميد، أنّ الحدية التي طبعت سيد قطب نتاج واقع سياسي اتسم بفشل الليبراليين والديمقراطيين، وصعود الحداثة السلطوية مع جمال عبد الناصر. وتابع لـ «حفريات»، بأنّ الإخوان لكونهم معارضي التصور السلطوي لعبد الناصر، وجب عليهم صياغة تصور سلطوي مناهض، وأدى سيد قطب هذا الدور كمتقف، بمفاهيمه النابعة من انحيازه وبراعته اللغوية واطلاعه الواسع. يقول كيوان بأنّ الجاهلية عند قطب هي «التصور المناهض لعبد الناصر ونظامه بشكل قطعي، بما في ذلك رفض المعارضة من داخل النظام».

لكن إذا كان طرح الجاهلية عند قطب، هو سلطوية ماضوية مقابل سلطوية حداثة، فلماذا وسع فكرة الجاهلية لتشمل الواقع كله، عندما قال «نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية؛ تصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم وفنونهم وآدابهم، وشرائعهم وقوانينهم، وحتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ومراجع إسلامية وفلسفة إسلامية وتفكيراً إسلامياً، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية»؟



آرام محاميد: الإخوان بدأت دعوتها بين الفئات الاجتماعية الراضة للحدثة

يجيب الناشط محاميد، بأنّ رفض سيد قطب وجماعة الإخوان ومن خرج من رحم أفكارهم لقيم الحدثة بكل منجزاتها، يأتي من النظر في واقع هذه الجماعة. وأضاف بأنّ جماعة الإخوان المسلمين بدأت دعوتها بين الفئات الاجتماعية الراضة للحدثة، والتي عدتها تلوثاً وسمّاً في أعقاب انهيار الدولة العثمانية؛ جزء من هذا التلوث سياسي يخص السلطة، وآخر يخص قيم الحدثة والتمدن والتحرر، فصيحغ تصور شمولي يشمل المجتمع والسلطة والثقافة.

## الإخوان كجماعة فاشية

تبعاً لذلك، فإن مهمة جماعة الإخوان المسلمين أو العصابة المؤمنة بتعبير سيد قطب، تنقسم إلى مرحلتين، يشبهان الأهداف التي وضعها حسن البنا في مؤلفاته. الأولى تطبيق المنهج الإسلامي الذي وصفه قطب في مؤلفاته في واقع الشعوب الإسلامية، عبر عملية بعث، ليتبع ذلك المرحلة الثانية وهي «تسلم قيادة البشرية»، وهو ما قصده حسن البنا بمصطلح «أستاذية العالم».

ولبناء هذه الطليعة، عليها العودة بحسب قطب إلى مصدر واحد فقط، وهو «القرآن الكريم»، ولأنّ القرآن كما في القول المنسوب إلى علي بن أبي طالب «القرآن بين دفتي المصحف لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال»، سيقوم قطب بهذه المهمة، اعتماداً على مؤلفه «في ظلال القرآن»، والذي قام بتعديل أربعة فصول مستخرجة منه، ووضعها في مؤلفه «معالم في الطريق».

كتب قطب: «لا بد إذن في منهج الحركة الإسلامية أن نتجرد في فترة الحضارة والتكوين من كل مؤثرات الجاهلية التي نعيش فيها ونستمد منها، لابد أن نرجع ابتداءً إلى النبع الخالص الذي استمد منه أولئك الرجال، النبع المضمون أنّه لم يختلط ولم تشبه شائبة».

## «الناشط السياسي آرام محاميد لـ»حفريات»: الجاهلية عند قطب هي التصور المناهض لعبد الناصر ونظامه بشكل قطعي، بما في ذلك رفض المعارضة من داخل النظام»

وبدلاً من انطلاق قطب من واقعه، سواء بالوصف والتحليل ثم طرح الحلول، كما هو مناط بأي مفكر يتبع منهج سليم، يلجأ إلى إعادة إنتاج تاريخ البعثة المحمدية، وفق منظوره. ولهذا أوجد التمهيد الفكري للجماعات التي خرجت لاحقاً عن الإخوان المسلمين، وتبنت العنف كوسيلة للوصول إلى السلطة، بهدف تحقيق نموذج الدولة المُتخيل عند المنظرين الكبار مثل حسن البنا.

يصف الناشط آرام كيوان محاميد، جماعة الإخوان المسلمين بأنهم «تيار حداثي يرفع شعارات ضد الحداثة تماماً، مثل الفاشية. وأشار إلى أن المفكر سلافوي جيجك يسمي هذه الحالة بـ«مفارقة الماتركس». أما كيف تنتهي الجاهلية عند سيد قطب، فيرى بأنها تنتهي «بوصول العصبية المؤمنة إلى الحكم».

ولهذا يلفت محاميد إلى أن الصواب مناقشة هذه التيارات من منطلق كونها فاشية؛ لأنه في هذه الحالة لا يهم إذا كانت عالمة أو جاهلة أو صحيحة أو خاطئة، فهذا ليس اللب، كما أن موسوليني وهتلر لم يكونا جهلة، وكان حولهما مفكرون كبار مثل بندتو كروتشه منظر الفاشية. ونوه محاميد إلى أن «الفاشية تستند إلى مجموعة تصورات في الغالب تتفق جميعها على أفكار التفاوت الطبيعي أو العرقي، وفي حالة الجماعات الإسلامية التفاوت يحمل طابعاً دينياً».

# كيف تؤزم جماعة الإخوان العلاقة بين الفرد والدولة الحديثة؟

منذ الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة اختلط الديني بالسياسي، لأسباب موضوعية تتعلق بظروف المجتمع المدني، والسياق العام للفكر السياسي البسيط في شبه الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وطبيعة الصراعات بين المؤمنين بالدعوة النبوية وغير المؤمنين. والتي بدأت لأسباب اقتصادية في المقام الأول، في السرايا التي سيرها النبي محمد لمهاجمة قوافل قريش التجارية، للحصول على ثروات تعوض ما تخلى عنه المهاجرون من أموال وثرورات لقريش مقابل الهجرة إلى المدينة.

وأياً يكن ما حدث في عهد النبي محمد، عليه السلام، فقد توفاه الله ولم يحدد نظاماً سياسياً لمجتمع المسلمين الذي غطى كامل مساحة شبه الجزيرة العربية في عهده، وفق رابط الإيمان ودفن الزكاة، لا رابط نظام سياسي لدولة محددة المعالم. ولهذا انفرط عقد هذا المجتمع بوفاة النبي، ليأتي الخليفة الأول أبو بكر الصديق ليؤسس الدولة العربية. وفي حادث السقيفة المعروف تاريخياً بسجال المهاجرين والأنصار حول النظام السياسي، لم يحدث أن استشهد أي طرف بوجود نظام سياسي إسلامي.

لكن بعد وفاة الخليفة الثالث عثمان، وأحداث الحرب الأهلية بين الخليفة علي والوالي معاوية بن أبي سفيان، ثم تأسيس الدولة الأموية، ستظهر النظريات الدينية عن السلطة، والتي ستتوسع في عهد الدولة العباسية، ليتم تحويل الواقع التاريخي المرن إلى نظرية سياسية إسلامية، أخذت شكلها كما في كتابات أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، (ت ٤٥٠هـ)، خاصة في كتابه «الأحكام السلطانية».

## «دعا حسن البنا إلى تكفير الدولة الحديثة وتحريم التعامل مع مؤسساتها إلا في أضيق الحدود، ومقاطعة المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي»

### من الخلافة إلى الدولة القومية

بدايةً لم تخلق قضية نشوء الدول والإمارات في تاريخ المسلمين الإشكالات التي ظهرت في الربع الثاني من القرن العشرين، كَوْن التدين الشعبي لم ينخرط في قضايا السلطة التي كانت حكرًا على قلة من النخب العربية القبلية ثم النخب العسكرية في العهد الثاني للدولة العباسية.

وعلى مستوى المنظرين الدينيين، اقتصر السجال الديني على مواجهة الأغلبية السنيّة الحاكمة، للمعارضة الشيعية التي صاغت نظرية الإمامة المحصورة في آل البيت من نسل الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب، مع اختلافات كبيرة حول سلسلة الأئمة بين الفرق الشيعية الإمامية من زيدية وإسماعيلية واثنى عشرية.

وتعتبر أزمة التيارات الدينية مع الدولة القومية أزمة حديثة؛ إذ إنّ تلك التيارات تبلورت من خلال الاشتباك مع الحداثة التي دخلت إلى العالم العربي مع تأسيس الدولة الحديثة في عهد محمد علي باشا في مصر (١٨٠٥-١٨٤٨).

ومع إنهاء الدولة العثمانية عام ١٩٢٤ على يد مصطفى كمال أتاتورك في تركيا، وتأسيس الجمهورية، نشأت أزمة غياب «الخلافة» لدى المفكرين الإسلاميين، وليس الجماهير المسلمة، التي لم يكن من ضمن اهتماماتها قضية الحكم، والتي تعتبر قضية حديثة نسبياً هي الأخرى لدى عموم الشعوب، نشأت بعد انتشار التعليم الحديث، والانتشار الجماهيري للصحف ووسائل التواصل لاحقاً، ونيل تلك الجماهير حقوقاً واسعة بدأت مع تملك الأراضي الزراعية في عهد خلفاء محمد علي باشا، ومع القوانين الحديثة بشكل عام، التي رافقت تغير نمط الإنتاج ولو نسبياً.



جماعة الإخوان دعت إلى تكفير الدولة الحديثة

وسيظهر مع مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، حسن البنا، إرهاصات التنظيرات الدينية حول استعادة الخلافة الإسلامية، وفكرة الدولة الإسلامية بشكل عام والتي ستصبح في مواجهة مع الدول القومية التي اتخذت شكلها في مصر منذ عام ١٩١٤ الذي شهد إلغاء تبعية مصر للدولة العثمانية، بعد فرض الحماية البريطانية عليها، وتعيين السلطان حسين كامل، كأول حاكم مستقل عن العثمانيين للدولة المصرية. ثم لاحقاً بدأت الدول القومية تظهر في المنطقة تبعاً، مع المملكة العربية السعودية عام ١٩٢٤، والمملكة الأردنية الهاشمية، ومملكة العراق، ثم لبنان وسوريا وبقية الدول العربية المستقلة على أساس جغرافي لا ديني، بعد رحيل الاستعمار الأوروبي.

وتجدر التفرقة بين الدولة القومية الحديثة والعلمانية؛ فمع تأسيس الدول القومية لم يُنتهج النظام العلماني في إدارة علاقة الدولة بالدين؛ وظلت القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، والموروثة منذ العثمانيين ودولة محمد علي باشا معمولاً بها، بدرجات متفاوتة، خاصة في مسائل الأحوال الشخصية.

## الإخوان والدولة القومية

وتزامن تأسيس جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ مع إلغاء الخلافة العثمانية، والتي خلقت حالة من السجال الفكري الواسع بين المفكرين في مصر والبلاد العربية. وتبنى حسن البنا استعادة الدولة الإسلامية كهدف أساسي لجماعته



أعضاء جماعة الإخوان، في نظر البنا، جنود

التي أسسها، ويعتبر أول من نظر لقضية استعادة الدولة الإسلامية، ومع سيد قطب لاحقاً سيظهر التنظير المفصل والأعمق للصدام مع الدولة القومية.

وضع البنا في مصنفه «رسالة التعاليم» الأسس والأهداف التي من أجلها أسس جماعة الإخوان المسلمين، وعلى رأسها «إعادة الكيان الدولي للأمة الإسلامية بتحرير أوطانها، وإحياء مجدها، وتقريب ثقافتها، وجمع كلمتها، حتى يؤدي ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة.»

وفي الرسائل سيبت العديد من التعاليم والتوجيهات التي يُعبر عنها المصطلح الحديث الاستخدام «دولة داخل الدولة»، ومن ذلك «أن تتخلى عن علاقتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك وخاصة إذا أمرت بذلك». ومن التوجيهات أيضاً التي أسست لرفض مؤسسات الدولة الحديثة، لسبب لم يصرح به البنا، وسيصرح به منظرون لاحقون من الإخوان والتيارات الجهادية التي خرجت من رحمها، وهو «تكفير الدولة الحديثة» وتحريم التعامل مع مؤسساتها إلا في أضيق الحدود، ما يلي «أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء

# «الأكاديمي محمد بسيوني لـ»حفريات»: التيارات الدينية ترفض مواكبة التغيرات الهائلة التي شهدتها المجتمعات الإنسانية من فكرة الحاكم المطلق إلى حكم الشعب»

غير إسلامي، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناقض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة».

وفي توجيه آخر لأفراد الجماعة، أسس البنا للتمييز بين المواطنين في مصر على أساس ديني، وهو الأمر الذي كان يميز الدول كافة قبل نشوء الدول القومية الحديثة، ودعا البنا إلى «أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص القرش فلا يقع في يد غير إسلامية، مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامي».

ولاحقاً على مدار تجارب التيارات الدينية بدءاً من الإخوان المسلمين والجماعات الجهادية والسلفيين، ستظهر ما يمكن تسميتها حالة الانفصام عن مؤسسات الدولة الحديثة، والتعامل معها دون إيمان بدورها كأسس تقوم عليها الدولة. وعلى المستوى الشعبي بين التيارات الدينية ظهرت قضايا مثل؛ الموقف من التوظيف والعمل في مؤسسات الدولة، والموقف من تلقي المرتبات من الأموال العامة، وشرعنة استهداف تلك المؤسسات مع التيارات التكفيرية الجهادية.

## رفض الدولة القومية

وفي هذا السياق، ناقش المفكر عبد الجواد ياسين تلك القضايا في سلسلة مقالات بعنوان «الازدواجية الثقافية في الواقع العربي المعاصر». وكتب «بعد تبلور التيار الأصولي وظهور جماعة الإخوان المسلمين ستُقرأ عملية الاقتباس من مصدر وضعي على حساب الفقه بوصفها خرقاً لحاكمية الله الشاملة، وسيشار إلى القانون بوصفه نقيضاً موضوعياً للشريعة.»



محمد بسيوني: التيارات الدينية ترفض رئاسة المرأة أو غير المسلم للدولة

وأشار ياسين إلى أنّ المرشد الثاني للجماعة، المستشار حسن الهضيبي، عبّر عن موقف البنا خلال مناقشة أمام مجلس الشيوخ المصري حول قانون في العهد الملكي، بقوله «هذا القانون لا يستحق النقاش من حيث المبدأ؛ لأنه لم يصدر مباشرة عن القرآن والسنة.»

ومع سيد قطب تعمقت تلك الأفكار، وظهر مبدأ «الحاكمية»، وستتابع التيارات الإسلامية جماعة الإخوان في موقفها المناهض للدولة الحديثة.

يرى الأكاديمي والباحث المصري محمد ماهر بسيوني، بأنّ التيارات الدينية تناصب فكرة الدولة الحديثة العدا؛ لأنها تقوم على المواطنة أي المساواة بين أفراد الدولة في الحقوق والواجبات، بينما ترى تلك التيارات خلاف ذلك، مثل قوامة الرجل على المرأة، وعدم قبول شهادة غير المسلم في حق المسلم.

وتابع لـ«حفريات» بأنّ التيارات الدينية تعتنق أفكار تناقض الأسس التي قامت عليها الدولة الحديثة، مثل رفض رئاسة المرأة أو غير المسلم للدولة، وغير ذلك من القواعد الفقهية التي تبلورت قبل نشوء الدولة بمفهومها الحديث. وأوضح أنّ أفكار تلك التيارات ترفض مواكبة التغيرات الهائلة التي شهدتها المجتمعات الإنسانية، من فكرة الحاكم المطلق إلى حكم الشعب، ومن الشورى غير الملزمة إلى الديمقراطية، ومن حكم الفرد أو العائلة الحاكمة إلى حكم المجالس النيابية المنتخبة، ومن مفهوم الرعايا إلى مفهوم المواطن.

# الديمقراطية والتمكين الإخواني: كيف يجتمع النقيضان؟

إذا كانت الديمقراطية هي حكم الشعب نفسه بنفسه، سواء في شكلها المباشر كما كان في ديمقراطية المدن الإغريقية مثل أثينا، والنماذج الأبسط في العديد من القبائل في أوروبا وغيرها، أو في شكلها النيابي عن طريق انتخاب ممثلين الشعب في المجال النيابية، فإنّ جوهر الديمقراطية هو التداول السلمي للسلطة. ولتحقيق هذا التداول يجب النظر إلى السلطة السياسية كإدارة عليا لمؤسسات وسياسات البلاد، لتحقيق الأهداف التي انتخب الشعب لأجلها ممثليه، دون محاولة صبغ المؤسسات بطابع حزبي أو أيديولوجي، يجعلها في خدمة فصيل سياسي معين.

أما التمكين كمصطلح لدى جماعة الإخوان المسلمين، فيعود إلى عهد المؤسس حسن البناء، الذي جعله بمثابة حصد نتائج دعوة جماعته، التي تبدأ بإصلاح المجتمع ليتقبل الدعوة الإخوانية، ويطبّقها في حياته، ثم تكون المحصلة في النهاية تشكيل حكومة الإخوان المسلمين، وبعدها هدف «أستاذية العالم»، بحسب أدبيات الإخوان المسلمين.

## التمكين لدى الإخوان

في مقال منشور في موقع «إخوان أونلاين» كتب نائب رئيس حزب الحرية والعدالة، المنحل في عام ٢٠١٤، عن التمكين لدى الإخوان المسلمين، ما يلي: «عندما يؤمن الفرد برؤية الإخوان المسلمين، فسيقوم بتطبيق هذه الرؤية في حياته، وبالتالي إذا آمنت الأسرة بهذه الرؤية، فسوف يكون التأسيس على مبادئ

## «جماعة الإخوان تُفهم في سياق الحركات السرية التي ظهرت في الإسلام، والتي تعمل كجيتو منعزل عن المجتمع وتتخفى وراء نصوص الدين»

تلك الرؤية، وفي النهاية إذا حدث انتشار للفكرة بين الناس، فأصبحت تمثل أساساً حياة الأفراد والأسر والجماعات، يصبح من الممكن، بل من المتاح، أن تتحول الفكرة إلى التطبيق في المجالات العامة للحياة، وتصبح مؤسسة للنظام العام والنظام السياسي، وبهذا تصبح أساساً لتأسيس الحكومات».

أما مرحلة التمكين، فهي تلك المرحلة التي «تنتشر فيها دعوة الإخوان إلى حد يُمكن الجماعة من تطبيق دعوتها في مختلف جوانب الحياة». وذلك بعد أن تتمكن الفكرة من عقول وقلوب الناس، بحيث «يصبح لها قواعد جماهيرية مؤثرة، تدعو إلى تطبيق هذه الأفكار في المجال السياسي والنظام العام والقانوني».

ولكون دعوة الإخوان المسلمين قامت على رؤية تصف المجتمع بالضلال والبعد عن الدين الإسلامي، فهي تتطلب إعادة الناس إلى الدين أولاً، من خلال بوابة واحدة وهي جماعة الإخوان، ليعودوا تابعين للجماعة التي تحتكر الصلاح والهداية، ثم يقوموا بدورهم في تمكين الجماعة من السلطة السياسية في نهاية المطاف.

ولهذا فإنّ من يحتكر الصلاح والهداية الإلهية لا يمكن له أن يسمح بتداول السلطة إذا ما وصل إليها، فكيف به أن ينقل السلطة إلى من يصفهم بالضلال، ولا يأتئهم على الدين والمسلمين. تلك الرؤية عبّر عنها حسن البناء، حين وصف الحكومات المصرية المتعاقبة في العهد النيابي قبل ثورة ١٩٥٢ بقوله: «الإخوان المسلمون لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها - ولا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية- من ينهض بهذا العبء، أو من يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون».



بخلاف ما يروج الإخوان فإن العنف متأصل في دعوتهم

## التمكين للإخوان المسلمين

ويُفهم من كلام مؤسس الإخوان، أنّ الجماعة تريد تطبيق فكرة «الدولة الإسلامية» وفق ما فهمه حسن البناء، ولا تريد الديمقراطية؛ فهي انتقدت الحكومات المصرية التي تشكلت في ظل حياة نيابية محدودة، وكانت على استعداد لدعم أي سلطة حتى لو مستبدة ما دامت تدغدغ المشاعر باسم الحكم الإسلامي.

تبعاً لذلك، من الوهم الظن بأنّ جماعة الإخوان المسلمين ترى في غيرهم من هم أقدر على أداء المهمة التي تشكلت جماعتهم لأجلها، وهي الوصول إلى السلطة، مستغلين في ذلك الدين الإسلامي.

في مقدمة كتاب «رسالة التعاليم» التي كتبها حسن البناء، جاء ما يلي: «هذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين الذين آمنوا بسمو دعوتهم، وقدسيتها فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها، أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات، وهي ليست دروساً تحفظ، بل تعليمات تُنفذ، فيالعمل أيها الإخوان الصادقون».



البيعة للمرشد والطاعة له لتحقيق التمكين لدعوة الجماعة

وفي الرسائل يتحدث البنا عن العديد من القضايا التي تقوم عليها دعوة الإخوان، ومنها البيعة للمرشد والطاعة له، وذلك لتحقيق التمكين لدعوة الجماعة، والتي تزعم أنها الحياة وفق منهج الإسلام الشامل، وهي الجملة التي ظاهرها الحق وباطنها الباطل.

بتمعن جملة البنا وجميع كتاباته يتضح أنّ هدف الجماعة هو التمكين من فكر وقلوب المجتمع، كمقدمة نحو حصد الثمار بالوصول إلى سدة الحكم، ثم في مراحل لاحقة إحياء فكرة الخلافة الإسلامية، التي تقوم على تخيلات عن دولة فاضلة، وبعدها الوصول إلى «أستاذية العالم»، وهي السيادة في العالم أجمع.

ومثل هذه الأهداف تعني أنّ الجماعة لن تتنازل عن سلطة تمتلكها يوماً بشكل ديمقراطي، ولن تقبل بعمل سياسي حرّ تنافسي، بل ستستغل كل سلطة وقدرة لسحق الآخرين، وليست تجارب الإخوان في السودان ومصر وتونس ببعيدة، ولولا إطاحة المصريين بهم في ثورة ٣٠ يونيو لكانوا تمكنوا من مؤسسات البلاد، وحولوها من مؤسسات دولة إلى مؤسسات الجماعة.

# «الباحث سامح محجوب لـ»حفريات»: لا يوجد في فكر الإخوان تداول السلطة بل التوريث، ولهذا لا يؤمن الإخوان بأقل مبادئ الخطاب السياسي الحديث»

## الدولة في مواجهة الأمة

ومن ضمن مقولات البنا التي تنضح بالشمولية والرغبة في قيادة العالم قوله إنَّ «الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإنَّ الفرض ستسرح للأعمال العظيمة، وإنَّ العالم ينظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام، وإنَّ الدور عليكم في قيادة الأمم وسيادة الشعوب، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجون، فاستعدوا واعملوا اليوم، فقد تعجزون عن العمل غداً». فهل في ظل هذه التعاليم التي يُربى عليها الإخوان المسلمون مساحة لتقبل التعددية وتداول السلطة التي هي أساس الديمقراطية؟

يلق مدير بيت الشعر المصري، الشاعر والباحث سامح محجوب، بأنَّ جماعة الإخوان المسلمين تُفهم في سياق الحركات السرية التي ظهرت في الإسلام، والتي تعمل كجيتو منعزل عن المجتمع، وتتخفى وراء نصوص الدين، بهدف السيطرة على المجتمعات. وأضاف لـ«حفريات» بأنَّ الإخوان يرون الديمقراطية على أنَّها «ليست من الإسلام بل من الكفر، ولهذا لا يقفون على أرضية الدولة الحديثة؛ فهم لا يؤمنون بفكرة الدولة بل بفكرة الأمة، وهو ما جعل مرشدهم محمد بديع يتحدث عن أحقية مواطن ماليزي في حكم مصر بينما المواطن المصري المسيحي ينظرون إليه كأهل ذمة ورعايا، لا حقوق لهم على قدم المساواة كالمواطن المصري المسلم».

وأوضح محجوب بأنَّه من مبادئ الأحزاب السياسية في النظم الديمقراطية قبول الآخر والتعددية، بينما يؤمن الإخوان بفكرة الخلافة، التي تقوم على



سامح محجوب: الإخوان يرون الديمقراطية كفرةً

مبدأ الشورى المنحصر في عدد قليل يزي رأس السلطة. وبحسبه فإنّ «تاريخ الدول الإسلامية الذي يؤمن به الإخوان كمقدس، والذي يأخذ مسمى الخلافة، لا توجد فيه فكرة تداول السلطة بل التوريث، ولهذا لا يؤمن الإخوان بتداول السلطة، ولا يؤمنون بأقل مبادئ الخطاب السياسي الحديث».

يؤكد الباحث المصري على أنّ التعامل السياسي مع الإخوان المسلمين بمثابة انتكاس ورجوع إلى الخلف. ويشدد على أنّه «من ضروريات مواجهة التدليس الإخواني حول التاريخ، ضرورة التفرقة بين الإسلام كدين وبين الأفكار التي ظهرت حوله؛ فالإسلام في جوهره دين يدعو إلى تداول السلطة والحرية والأخذ بقيم العلم والحضارة، أما التاريخ الموسوم بالإسلامي فهو ليس سوى تاريخ من الاستبداد والانتهازية والدم».

وشدد «على نفس هذا التاريخ يسير الإخوان المسلمون؛ من حيث ادعاء القداسة مع ممارسات براغماتية انتهازية وتبني قيم العنف ورفض الآخر، وكل ذلك ليس من الديمقراطية في شيء».

# حماسة الإخوان في اختبار الزمان: أيدولوجيا عتيقة وفقر معرفي

راجت أنباء عن توجهات إصلاحية من جيل الشباب داخل جماعة الإخوان المسلمين، لكن بمرور الأشهر لم تسفر تلك المحاولات عن شيء، بل تراجع دور الشباب إلى الخلف في ظل هيمنة الشيوخ والخطاب العتيق على الجماعة.

حتى تلك الأوراق التي قُدمت باسم تيارات تدّعي الإصلاح لم تأت بجديد، ولم تختلف في النقل والاستناد إلى مصدرين أساسيين، وهما وصايا المؤسس حسن البناء، ووصايا المنظر التكفيري سيد قطب.

ويعتبر الاتفاق على ذلك المصدرين سمة تجمع كل ألوان الطيف الإخواني، وهي تعني من جانب آخر أنّ مؤلفات ذلك المصدرين باتت في حكم التقديس، بما يشمله من التكرار والتقليد وغياب الإبداع، ولهذا يصبح من الطبيعي صعود التنافس الإداري على الزعامة داخل جماعة مية فكرياً، لكنها تملك إيماناً مبنياً على تقديس مقولات رجلين، وهما البناء وقطب.

## أوهام التجديد

كتب الباحث خيرى عمر في مقال منشور في موقع «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى»، بأنّه لطالما كانت التحديات التنظيمية التي تواجهها جماعة الإخوان المسلمين منذ فترة طويلة عاملاً حاسماً في تشكيل علاقاتها مع الدولة لعدة عقود،



استخدمت الجماعة حجج مفكريها حسن البنا وسيد قطب

فطوال تاريخ الإخوان، كانت الإخفاقات التنظيمية الداخلية بارزة في جميع الأزمات التي مرت بها الجماعة. ومع سعيها لتقلد مكانة حركة دولية، ازداد الوضع سوءاً؛ حيث واجهت الجماعة صعوبات في التعامل مع الحكومات الوطنية.

وأشار الكاتب إلى تراجع مكانة القيم داخل جماعة الإخوان، «على الرغم من رسوخ مبدأ السمع والطاعة داخل الجماعة وتصوير مخالفته نوعاً من العصيان والفساد الأخلاقي، لم يطرأ أي تحسن على الاستقرار الداخلي داخل جماعة الإخوان المسلمين.»

كما تطرق إلى انغلاق الجماعة الفكري، وكتب: «فيما يتعلق بأيدولوجية الجماعة، وبشكل عام، استخدمت الجماعة حجج مفكريها المركزيين مثل حسن البنا وسيد قطب، حيث ركنت الجماعة، منذ نشأتها، إلى إرشادات حسن البنا في نسختها الأولية عن السلطة والحكم والدولة، وذلك رغم عدم كفايتها للتعامل مع التغيرات المتواترة في النظام العالمي والدولة القومية.»

وشهدت جماعة الإخوان المسلمين في مصر انقسامات كبيرة بعد العام ٢٠١٣، بعد الإطاحة بهم من السلطة في ثورة ٣٠ يونيو الشعبية. كانت البداية بالانقسام بين مجموعة مكتب التغيير بقيادة القيادي محمد كمال، الذي لقي حتفه في تبادل

## «جماعة الإخوان لا يمكن أن تتحول إلى شكل آخر؛ لأنها قامت على وصر المجتمع بالضلال فلهذا ترى في نفسها المصباح والمرشد لهذا المجتمع»

لإطلاق النار مع الشرطة المصرية في ٢٠١٦، وبين ما يسمون شيوخ الجماعة بقيادة محمود عزت ومحمود حسين.

ولم يكد ذلك الانقسام ينتهي، حتى ظهر على السطح انقسام آخر داخل مجموعة الشيوخ، بين جبهة يتزعمها محمود حسين ومجموعته في إسطنبول، وجبهة التنظيم الدولي بزعامة القيادي الراحل إبراهيم منير، وذلك بسبب الصراع على تمثيل القائم بأعمال المرشد الذي يقبع في السجون المصرية.

ومع هزيمة مجموعة التغيير التي كانت أول من انشقت وخلقت أجهزة ومكاتب موازية لمكاتب الجماعة الأم، روجت المجموعة إلى ضرورة تبني حركة إصلاحية داخل الجماعة، ومراجعة الأخطاء التي وقعت فيها، وأدت إلى الإطاحة بها من السلطة في مصر، لكن كعادة الإخوان المسلمين لم تنب هذه الدعوة على أسس معرفية ورؤية واضحة للتغيير، ليظل كل حديث حول التغيير داخل الجماعة، متعلقاً بتقاسم المناصب والنفوذ فقط.

### الفقر المعرفي لدى الإخوان

يرى الباحث في التاريخ والفكر الإسلامي، سامح عسكر، بأن أيديولوجيا الإخوان على مستوى الواقع غير ملائمة؛ فهم بدأوا كجمعية دينية، ولم تكن فكرة السياسية في ذهن البناء. وأشار عسكر في تصريح لـ «حفريات» إلى أن الجماعة دخلت الحياة السياسية وقت الحرب العالمية الثانية، وقبل ذلك كانوا منشغلين بالأمر الاجتماعي والدعوية والترويج لوجوب طاعة الحكام، وكانوا مثل جمعية سلفية صرفة.



سامح عسكر: جماعة الإخوان تعاني منذ نشأتها من الفقر المعرفي

## «الباحث سامح عسكر لـ«حفريات»: جماعة الإخوان رجعية ماضوية تقوم على أوهام عن ترقب الدولة الفاضلة كما يترب الشيعية عودة المهدي المنتظر»

وتابع عسكر، بأنَّ الملك فاروق هو من ساعد الإخوان، وشجعهم على التوسع، ولم يحظر حتى التنظيم السري لهم، ودعمهم لمواجهة خصومه السياسيين، وكانت تلك الفترة بداية توسع الجماعة. وشدد على أنَّ جماعة الإخوان لا تنمو دون دعم أو على الأقل تجاهل من السلطة، لكن إذا ما واجهتهم السلطة فإنَّها تتراجع، لأنَّ فكرهم يتسم بالجبين.

وأشار الباحث في التاريخ والفكر الديني، إلى أنَّ الإخوان يريدون الوصول إلى السلطة، لكن ليس بشكلها الحديث، بل السلطة التي كانت سائدة في التاريخ الإسلامي، كما عبر عنها الفقه السلطاني. وأوضح أنَّ هدف الإخوان بتحقيق دولة الخلافة المزعومة مجرد هم؛ لأنَّ تلك الخلافة التي يتحدثون عنها ليست سوى مجرد صنعة خيالهم، عن ماضي يقدسونه دون قراءة أو فهم صحيح.



الجماعة لن تقبل التخلي عن سطوتها الأيديولوجية

يرى عسكر أنّ جماعة الإخوان تعاني منذ نشأتها من الفقر المعرفي، بسبب انغلاق أفرادها عن المعارف الأخرى، وتركيزهم على الأيديولوجيا كما صاغوها وفق الاستناد إلى وصايا حسن البنا ومؤلفات سيد قطب. ويقول بأنّ تصورات الإخوان عن العالم الذي ينقسم بين دار الإسلام ودار الكفر، وما يرتبط بذلك من غياب فكرة المواطنة، وعدم وجود ديمقراطية أو حقوق إنسان، لم تعد أفكاراً مقبولة لدى الإنسان اليوم، بعد ما اكتسبه من خبرات ومعارف ووعي بذاته، يجعل من العبث محاولة تطبيق نماذج متخيلة عن حياة مضي عليها ١٠٠٠ عام، كدولة المسلمين في العصر العباسي، على عالم اليوم.

### رجعية ماضوية

ولا يتوقع الباحث سامح عسكر نجاح أي محاولة لإصلاح جماعة الإخوان المسلمين، لأنّ الأفكار التي تنطلق منها الجماعة غير ملائمة للعصر والمستقبل. ويصف هذه المنطلقات بأنّها «رجعية ماضوية، تقوم على أوهام عن الدولة الفاضلة، في ترقب لعودة تلك الدولة كما يترقب الشيعة عودة المهدي.»

ويوفر الاطلاع على كتيب منشور باسم «المشروع السياسي» لتيار المكتب العام لجماعة الإخوان المسلمين (تيار التغيير) فرصةً لتقييم أطروحات التغيير لدى أخطر فريق انشق عن الجماعة لأسباب إدارية. لكن خطة هذا التيار لا ترتقي إلى العناوين البراقة التي حملها المشروع السياسي، من عينة الإصلاح، الذي اقتصر على الحديث عن أخطاء وقعت فيها الجماعة والخصوم، ما يحيل إلى أنّ تلك الأخطاء تكتيكية، ولا تتعلق بأي شكل بالأيديولوجيا التي تقوم عليها الجماعة، والتي تتناقض بشكل كلي مع فكرة الدولة الوطنية.

وكان تيار التغيير طرح خطته الإصلاحية للجماعة بالفصل بين الجماعة كدعوة وبين العمل السياسي، ليتم السماح لأعضاء الجماعة بالانضمام كما يشاؤون إلى الأحزاب السياسية، شريطة أنّ تكون تلك الأحزاب تعمل على تحقيق الغاية النهائية وهي دولة العدالة والشرعية والحق، وفق زعمهم.

والخلاصة أنّ جماعة الإخوان لا يمكن أنّ تتحول إلى شكل آخر؛ لأنّها جماعة قامت على وصم المجتمع بالضلال، فلهذا ترى في نفسها المصباح والمرشد لهذا المجتمع، للخروج من الظلام إلى النور، ومثل هذه الجماعة لن تقبل بأي شكل التخلي عن سطوتها الأيديولوجية، من أجل قيم الدولة الحديثة التي تقوم على المواطنة، فلا مصلحة للإخوان المسلمين في حياة لا يسعون فيها إلى السيادة.

# الدولة المتخيلة لدى الإخوان: نسخة عن ماضٍ لا وجود له

لم تكن التيارات الإسلامية لتحلم بعودة الخلافة الإسلامية لولا التصورات المغلوطة والأفكار المجتزأة التي يتبنونها عن هذا الكيان السياسي، الذي يصح عليه وصف الديني لا التاريخي. ولم تتشكل تصورات التيارات الدينية عن ماضي المجتمعات المسلمة انطلاقاً من دراسات تاريخية منهجية، بل جرى تبني تصور أولي عن هذا التاريخ، ثم تطويع الكتابات التاريخية لتؤكد على هذا التصورات الذهنية القبليّة.

وبقدر ما تُعتبر هذه المشكلة حديثة، حيث وُجدت في البداية مع مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، حسن البناء، في كتاباته ورسائله التي حدد من خلالها أهداف ومهام تنظيمه الوليد، تعتبر بقدر ما، مشكلة موروثّة من التراث الديني والتاريخي للمسلمين، الذين طغت عليهم مسحة من القداسة تجاه الفترة التأسيسية للدين الإسلامي وخلفاء النبي محمد، عليه السلام، ثم بعد ذلك من خلال الصراع مع المعارضة الشيعية.

## الخلافة: العدل والثروة

من على منبر الجمعة في أحد المساجد في قرية مصرية، وقف خطيب ينتمي للتيار السلفي، منفعلًا على حال الأمة الإسلامية اليوم، ومذكراً البسطاء أمامه بالرخاء والثروات والعدل الذي عاشته الدول الإسلامية في زمن الخلافة المفقودة. وكعادة أتباع هذه التيارات، هناك عدة مرويات وقصص تُحكى في كل مناسبة، مثل القول المنسوب للخليفة العباسي هارون الرشيد، الذي خاطب السحاب من شرفة قصره قائلاً «أيتها السماء أمطري حيث شئتِ فسيأتيني خراجك ياذن الله؟».



محمد الغيطاني: التاريخ الإسلامي هو تاريخ أنظمة حكم

ثم صدح الخطيب بقول الفرزدق «أولئك  
آبائي فجئني بمثلهم، إذا جمعتنا يا جرير  
المجامع».

ولم تفكر التيارات الدينية بداية بحسن  
البناء في ماهية تلك الدولة الإسلامية التي  
يعملون على استعادتها، فهي بالنسبة إليهم  
مجموعة من العناوين العريضة، التي تحمل  
صورة مثالية في كل شيء. وعند تلك التيارات  
تصدّر الواعظ ليكتب في التاريخ، حيث  
الأخير عندهم ليس علماً مستقلاً له مبادئه  
ومناهجه وأدواته، فتلك الأشياء هي فنون  
غريبة هدفها تشويه صورة التاريخ الناصع.

وعلى سبيل المثال، في الشق الاقتصادي الذي قامت عليه الدول في تاريخ  
المسلمين، يصورها هؤلاء على أنها دولة الثراء التي كانت تمنح الأرزاق لكل  
شخص، دون إدراك لطبيعة الثروة في تلك الدول، والتي كانت كمثيلاتها في عصرها  
في كل الكوكب، تقوم على نمط أو آخر من الإقطاع والجباية الذي يصب في صالح  
الأقلية على حساب الأغلبية المسحوقة.

يرى الكاتب والباحث المصري، محمد الغيطاني، بأن ما يسمى التاريخ  
الإسلامي هو تاريخ أنظمة حكم، تمثل نفسها ولا تمثل الإسلام. وأضاف  
لـ«حفريات» أن تلك الأنظمة نشأت من الصراع على الحكم، بدايةً من الدولة  
الأموية، التي حكمت لنصرة بني أمية على بني هاشم، أي أنها كانت بمثابة دولة  
ارتداد للقبلية، ومثل الجماعات الإسلامية اتخذت من الدين ستاراً كاذباً.

وأشار الغيطاني إلى أن ممارسات الأمويين تجاه آل البيت دليل على زيف  
الراية الإسلامية لهم، ومثلهم العباسيون الذين اتخذوا من الإسلام شعاراً، لكنهم  
كانوا قبليين في المقام الأول.

# «لو قرأت التيارات الدينية العلاقات الخارجية للدول وفق سياق عصرها، ومن منطلق أنّها تتاج بشري لأمكن لها كسر العزلة الشعورية عن العالم»

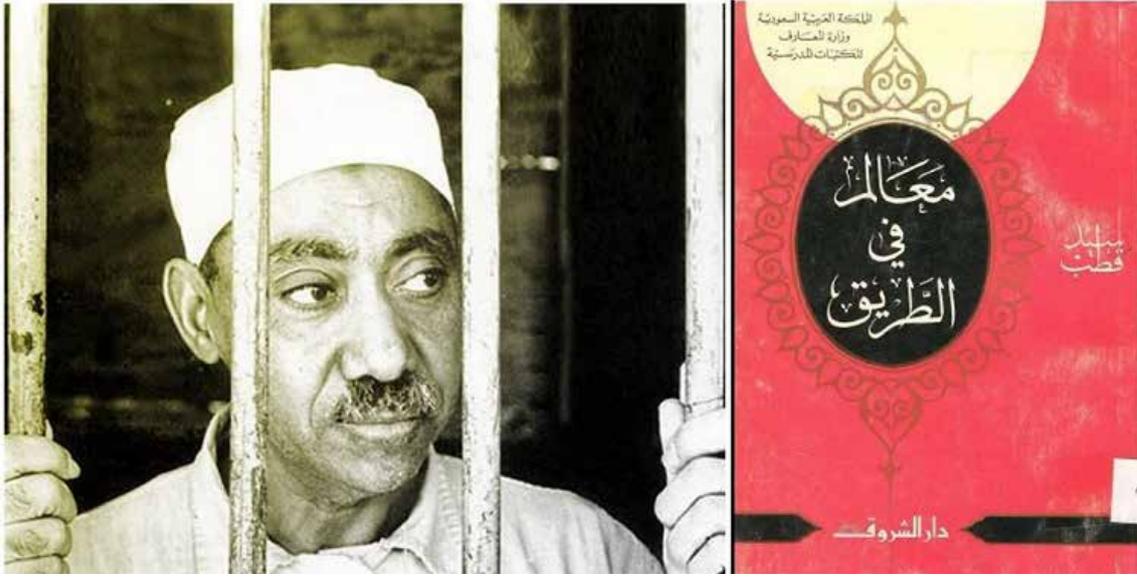
ويؤكد الغيطاني على ضرورة قراءة التاريخ بعمق، انطلاقاً من مفهوم أنّ تاريخ الإنسان والإنسانية في المطلق، وبنظرة نقدية لا تتبع الهوى والهوية في القراءة؛ حتى لا يكون القارئ مجرد تابع لأي كاتب.

## دولة الشريعة أم شريعة الدولة

إلى جانب الصورة المتخيلة عن الأمجاد المفقودة، هناك التأسيس العقدي لوجوب تطبيق الشريعة كجزء من تلك الدولة المتخيلة. يتناول المفكر المصري عبد الجواد ياسين تلك القضية. وكتب في مقالات نشرها في موقع «بوابة الوفد»، بأنّ «هذا الطرح الأصولي يعبر عن رؤية المدونة الفقهية، الموروثة من التاريخ السياسي الإسلامي، والتي تشكلت في ظل الثقافة السائدة في العصور الوسطى بطابعها الشيوعي والأتوقراطي الصريح».

ويذكر ياسين أنّه نتيجة لذلك أُختزلت الدولة في شخص الحاكم الفرد الذي يُشار إليه بولي الأمر، وهي صيغة تظهر مدى التباعد عن مفاهيم الدولة الحديثة بتكوينها المؤسسي القائم على توزيع السلطة، والفصل بين الدولة والحكومة، وتعزيز فكرة السيادة الشعبية.

كتب ياسين: «عبر هذه المدونة تخلقت فكرة الشريعة كجزء من بنية الدين. وفي واقع الأمر، لا تعبر المدونة عن أكثر من طرح خاص بسياقها التاريخي، أي عن فهم معين للإسلام». ويرى أنّ الدولة في تاريخ الإسلام هي من صنعت مفهوم الشريعة، وصدّرت التيارات الدينية إلى الوعي الإسلامي كأنّه جزء من الدين. يقول ياسين بأنّ «الحضور المتواصل للدولة هو الذي كرس مفهوم الشريعة وليس



وضع قطب الأسس النظرية للدولة المتخيلة التي يؤمن بها الإسلاميون

العكس كما يؤكد التنظير السلفي، الذي يروج لمقولة أن حضور الشريعة في النص هو الذي أوجب إنشاء الدولة.»

ويخلص ياسين إلى أن الوعي الإسلامي التقليدي يقع «ضحية لهذه الفكرة التاريخية التي تضع الإسلام في خصومة أبدية مع حركة التطور الطبيعي، وحتى الآن لا يزال التضليل الأصولي يمنع هذا الوعي من مناقشة الحل الوحيد الممكن لهذه المعضلة، وهو أن الشريعة الفقهية ليست من المطلق الإلهي الثابت العصي على التغيير.»

ونظر سيد قطب لذلك في كتابه «معالم في الطريق»، وكتب شارحاً الجاهلية التي وصم بها العالم، بأن «هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية، وهي الحاكمية؛ أي أنها تسند الحاكمية إلى البشر، فتجعل بعضهم لبعض أرباباً، لا في الصورة البدائية الساذجة التي عرفتها الجاهلية الأولى، ولكن في صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم، والشرائع والقوانين، والأنظمة والأوضاع، بمعزل عن منهج الله للحياة، وفيما لم يأذن به الله.»

## تغيب الإنسان

تلك التصورات التي ترى أن الدولة تتبع من تصور ديني، وأنها حين التزمت بذلك قدمت مثلاً لدولة العدل والثراء والرضا الإلهي، لا تجد سنداً لها، سوى

## «الكاتب محمد الغيطاني لـ»حفريات»: ممارسات الأمويين تجاه آل البيت دليل على زيف الراية التي رفعوها، ومثلهم العباسيون الذين اتخذوا من الإسلام شعاراً»

بتزييف التاريخ وتطوير النصوص الدينية. وداخل تلك التصورات يستمر تغييب الإنسان، كما كان حاله في العصور الوسطى، التي لم يكن للمجموع دور في تغيير النظم السياسية، إلا من خلال توظيفهم في صراعات النخب.

وللقيام بهذه الأدوار تخلط التيارات الدينية بين ذاتها وبين الدين نفسه، فتعيد تنزيل الرسالة النبوية على نفسها، وتجعل الخطاب الإلهي في القرآن موجهاً إليها. يعبر سيد قطب عن ذلك، ويقول «ولكن الله - سبحانه - كان يريد بناء جماعة وبناء حركة وبناء عقيدة في وقت واحد. كان يريد أن يبني الجماعة والحركة بالعقيدة، كان يريد أن تكون العقيدة هي واقع الجماعة الحركي الفعلي، وأن يكون واقع الجماعة الحركي الفعلي هو الصورة المجسدة للعقيدة».

وفي تلك الدولة المتخيلة، التي تراها التيارات الدينية وعلى رأسها الإخوان المسلمون، تصبح الأحداث التاريخية مثل الحرب تشريعات دينية، لتخلق أزمة التنظيمات المتطرفة الإرهابية، والتي تغذت على أفكار كهذه نتجت عن الجماعة. ولو قرأت تلك التيارات العلاقات الخارجية للدول في تاريخ المسلمين وفق سياق عصرها، ومن منطلق أن ذلك نتاج بشري في المقام الأول، وليس تشريعات دينية، لأمكن لها كسر العزلة الشعورية عن العالم، والأخذ بأدوات ومناهج التنمية والتقدم لتحقيق الحياة الكريمة والحرية للفرد، وفق رؤية واقعية تنطلق من واقع الاجتماع البشري، وليس من تخيلات مبنية على قراءات مجتزأة في كتب التراث، والأخيرة هي نتاج بشر وتحتاج لدرس منهجي موضوعي، لا التسليم بها كأنها تراث مقدس.

# الإخوان وتزييف التاريخ: كتابات الصلابي الطائفية عن الدولة الفاطمية

أي مصداقية تُرجى لشخص يتصدر للكتابة في التاريخ، يعنون كتاب بجملة فرعية «وفق الله صلاح الدين ففضى عليها». إنه واحد من أبرز رجالات الإخوان المسلمين الذين تصدوا للكتابة في التاريخ؛ غزير الإنتاج، معدوم الجدة، لا يملك خشية الباحث من الخطأ، فيكفيه أن يستغل اسم الإسلام، لينال المصداقية، ووراءه جماعة كبيرة وماكينات إعلامية ضخمة ودور نشر بالمئات، صنعوا منه مؤرخاً، إنه اللبي علي محمد الصلابي.

في كتابه المعنون بـ «الصراع بين أهل السنة والرافضة- نشر الصفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية» يتصدى الصلابي بثقة لم يجرؤ باحث جاد في أكاديميات العالم العريقة على ادعائها، ليكتب تاريخاً كاملاً عن الدولة الفاطمية، التي دامت (٩٦٩ - ١١٧١) من التاريخ الميلادي، وكانت عاصمتها مدينة القاهرة في مصر، في ١٧٦ صفحة فقط.

لا إنكار على الصلابي في مسعاه للتأليف في التاريخ؛ لكن تلك مسؤولية كبيرة يعرفها الباحث الرصين. أما مثل الصلابي الذي تنتظره دور النشر المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين لتشر له وتطبع مؤلفاته، وتروجها لتملأ البلاد العربية، دون وجود هيئة تحرير تراجع وتقيم، فهو بمثابة إعلان عن يقين مطلق، لا يليق بالباحث ادعائه، إلا أن كان مدعياً للحق باسم الدين، كحال التيارات الدينية التي لا تتورع عن كل فعل طالما آمنت بأنّها من تحتكر الحق والإسلام.

# «يتصدى الكاتب الإخواني علي الصلابي بثقة لم يجرؤ باحث جاد على ادعائها ليكتب تاريخاً كاملاً عن الدولة الفاطمية في ١٧٦ صفحة فقط»

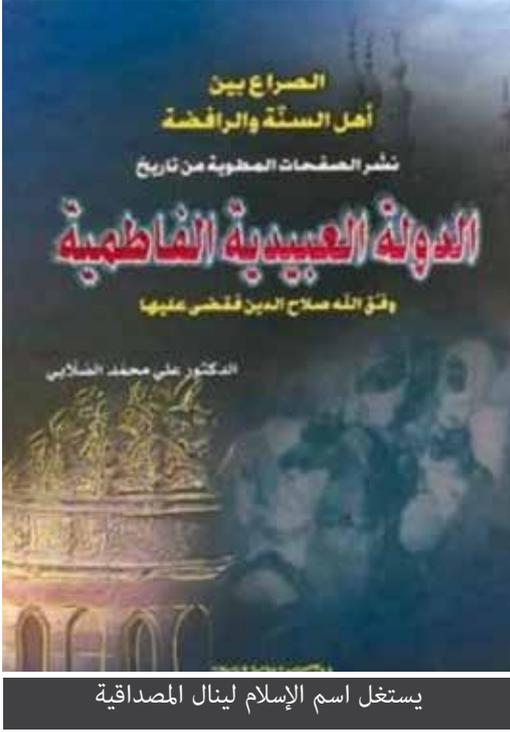
## ٨١ كتاباً

يُحصى أحد المواقع الإلكترونية لنشر الكتب، ٨١ كتاباً، قابلين للتحميل الإلكتروني، للمؤلف علي محمد الصلابي، تتوزع ما بين التاريخ والعقيدة الإسلامية، وأغلبها في التاريخ الإسلامي. أما عن تحصيله العلمي، فقد حصل على درجة الليسانس من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣، ثم التحق بجامعة أم درمان الإسلامية في كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، لينال منها درجتي الماجستير عام ١٩٦٦ ثم الدكتوراة عام ١٩٩٩، وهو من مواليد العام ١٩٦٣ في مدينة بنغازي الليبية.

وخلال ٢٠ عاماً، ملأ الصلابي المكتبة العربية بعشرات المؤلفات في التاريخ الإسلامي، رغم أنه لم يحصل على درجة علمية في تخصص التاريخ من إحدى الكليات المرموقة، بل كان تخصصه في العلوم الدينية، التي انطلق منها للتأليف في التاريخ، ولهذا ليس غريباً أن يضع جملته «وفق الله صلاح الدين ففضى عليها» أسفل عنوان كتابه عن الدولة الفاطمية.

الصلابي في مقدمة كتابه يتحدث عن الدولة العبيدية «الفاطمية» الراضية منذ نشأتها وحتى سقوطها، ويسلط الأضواء على أسباب نجاح الدولة الباطنية في الشمال الأفريقي، ويبين حقيقة الصراع بين الراضية وأهل السنة، ويذكر أساليب الراضية المتنوعة في محاربة أهل السنة».

وصدر الكتاب في طبعته الأولى عام ٢٠٠٧، وجاء في ١٧٦ صفحة. فهل يمكن اختصار تاريخ الدولة الفاطمية التي تعتبر إحدى الدول الإسلامية المهمة، التي لا تختلف عن الدول الأموية والعباسية وبقية الدول التي عرفتها مناطق العالم الإسلامي



سوى في العقيدة التي تحملها نخبها، في ١٧٦ صفحة فقط. بالطبع تكفي بالنسبة لكاتب لم يُكلف نفسه عناء البدء بدراسة مصادر التاريخ عن تلك الحقبة الزمنية والاطلاع على الدراسات العربية والأجنبية السابقة في هذا الباب. فهي دولة حكم عليها لأنّ حكامها من إحدى فرق الشيعة، وأنّها «رافضية، تعادي أهل السنة، وتحارب الإسلام»، فمثل هذه العقلية التي تؤمن باحتكار الصواب والحق لا تحمل أية قيم ومبادئ وأدبيات حول البحث العلمي، فضلاً عن مناهجه.

## أي منهج للصلاحي؟

يقول الباحث في التاريخ الإسلامي، ومؤلف كتاب «الدعوة الإسماعيلية في مصر»، الذي كان رسالته في الماجستير من جامعة القاهرة، حسن حافظ، بأنّ الصلاحي لا يعتمد على منهج من مناهج الكتابة التاريخية، وهو صاحب أداة لتخريب وإفساد الكتابة التاريخية.

وأوضح حافظ بأنّ ما يفعله الصلاحي هو مجموعة من الجرائم في حق الكتابة التاريخية والمنهج التاريخي وعلم التاريخ؛ كونه مشبعاً بأفكار جماعة الإخوان المسلمين التي تقوم على اختلاق تاريخ، ليس له علاقة بما جرى على أرض الواقع من أحداث تاريخية.

ولفت إلى أنّ الصلاحي يختصر الأحداث التاريخية في رواية واحدة، بلا اشتباك أو محاولة لتحليل الأحداث السياسية والثقافية، ويعتمد على التفسير الديني من أجل تصوير الأشخاص المحسوسين على المذهب الرسمي للإسلام (مذهب السلطة) في صور مثالية، من وجهة نظر المدرسة الإخوانية في تشويه التاريخ، مقابل تشويه أي خصم تاريخي لهذه المنظومة الفكرية.

## «الباحث حسن حافظ لـ» حفريات»: الصلاحي مشبع بأفكار جماعة الإخوان المسلمين التي تقوم على اختلاق تاريخ ليس له علاقة بما جرى على أرض الواقع»

يقول الباحث في التاريخ الإسلامي، بأن نتيجة هذا النهج نراه في تعامل الصلاحي مع الدولة الفاطمية؛ إذ لا يقتصر على التشويه، بل يتناولها باحتقار شديد، ويعمل على تشويه كل ما له علاقة بتاريخهم لإثبات مقدمات في ذهنه، وهي أن الفاطميين بما أنهم شيعة فهم أعداء للدين، باعتباره محتكر الحقيقة والصوابية الدينية.

في فهرس كتاب الصلاحي عن الدولة الفاطمية، لا توجد فصول مخصصة لتناول المباحث الأساسية عن الدول، على غرار؛ علاقة السلطة بالمجتمع ونمط الإنتاج الاقتصادي والعمران والعلاقات الخارجية والنظم الإدارية .. إلخ، بينما ضم الكتاب فصلاً عن القادة الإسلاميين المفضلين عند الصلاحي، مثل عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، ومرّ مرور الكرام على خلفاء الدولة الفاطمية، مانحاً إياهم نصيباً وافراً من التشويه والسباب والافتراءات.

أما من اجتهد من الباحثين لدراسة تاريخ الدولة الفاطمية بمنهجية وحيادية كما يتطلب البحث العلمي، فيقول عنهم الصلاحي في كتابه «هذا كله نتيجة لغياب التفسير العقدي الإسلامي لتاريخنا، بل إن المؤرخين الذين كتبوا لنا التاريخ تأثروا بمدارس الاستشراق أو بالفكر الشيعي، أو بذلت لهم أموال لطمس الحقائق».

ويتابع مبدياً ما يخفيه من توظيف الفاطميين لضرب الشيعة في إيران «لتعرف أن الأفكار لا تموت وإنما تتغير الأشكال والوجوه والمسوح، وأن هؤلاء الملاحين من أعداء الإسلام لا يزالون يعملون سراً وإعلاناً ليلاً ونهاراً للقضاء على العقيدة البيضاء الناصعة التي تلقفتها جموع أهل السنة والجماعة».



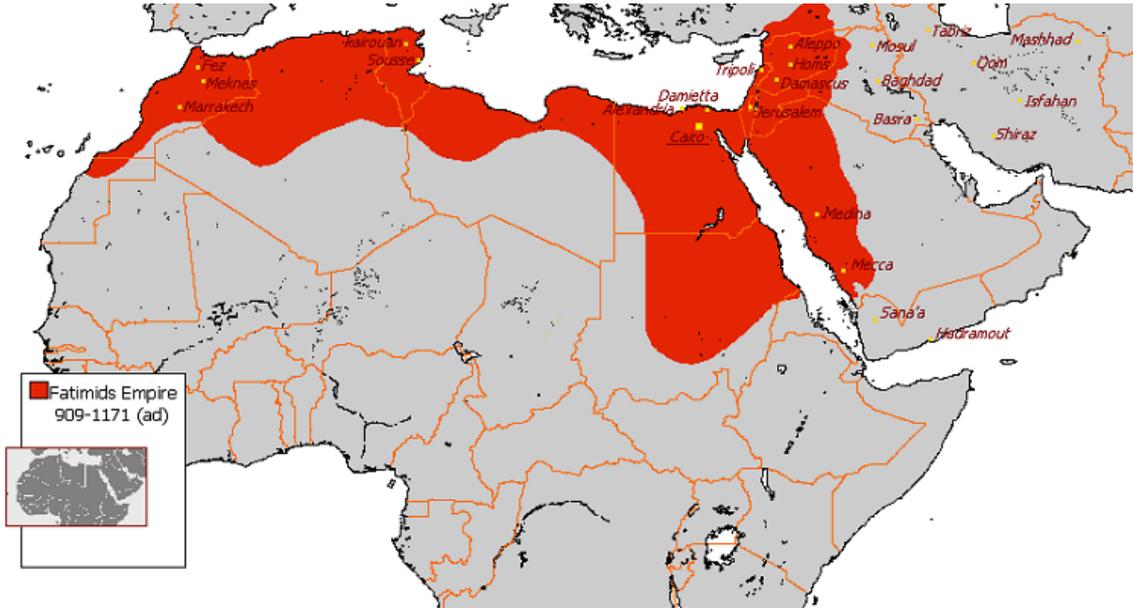
حسن حافظ: تشويه الوعي التاريخي

## كراهية الشيعة

يقول الباحث التاريخي، حسن حافظ، لأنّ الدولة الفاطمية مثلت تحدياً كبيراً جداً للدولة العباسية السنيّة، فمن الطبيعي أنّ يكون لها نصيبٌ وافٍ من عمليات التشويه التاريخية، التي بدأت منذ عهد الصراع العباسي الفاطمي، على يد أهل السنّة في العراق والشام، بدعم من الدولة العباسية.

ويشدد حافظ على أنّ تلك الهجمة كانت مفهومة في إطار الصراع السياسي بين دولتي العباسيين والفاطميين، لكن غير الطبيعي هو انتزاع هذا الصراع من سياقه التاريخي، وترديده على أنّه دوجما دون أي فهم.

وأفاد حافظ لـ«حفريات» بأنّ تشويه الفاطميين الشيعة مرتبط أساساً بالكراهية العميقة للشيعة عموماً، خصوصاً بعد نجاح الخميني في إقامة دولة شيعية في إيران، باتت تمثل تحدياً للعقل السني المعاصر.



لم تختلف الدولة الفاطمية عن دول العالم الإسلامي سوى في العقيدة

وأفاد بأنه انطلاقاً من ذلك يُفهم استدعاء الصلابي الدولة الفاطمية لتشويهها، من أجل إعطاء مساحة لتشويه الدولة الإيرانية الشيعية المعاصرة، مع العلم أنه يتغاضى عن الاختلاف العقدي بين الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية والجمهورية الإيرانية التي تبني المذهب الشيعي الإمامي الإثني عشري.

يؤكد حافظ على أن محاولة تشويه الدولة الفاطمية أو استبعادها من سردية التاريخ المصري وتاريخ المنطقة، هي محاولة بائسة ومكتوب عليها الفشل؛ لأنها في النهاية تاريخ دولة مثل تاريخ دول حكمت المنطقة؛ على غرار الرومان والبيزنطيين والأمويين والعباسيين والمماليك والعثمانيين. وأفاد الباحث التاريخي، بأن التاريخ لا يمكن حذفه أو التخلص منه، لكن يمكن تقبله فقط، ولا يمكن العبث به، لأن ذلك يؤدي إلى تشويه الوعي التاريخي، ونمو حالة من الجبن الفكري، تنتج عن عدم القدرة على الاشتباك مع فترات التاريخ المختلفة.

ويختم حافظ بأن دراسة الخلافة الفاطمية بشكل نقدي يشكل مأزقاً للإسلاميين؛ لأنهم بنوا رؤاهم الفكرية على نظرية المؤامرة والتآمر الكوني على الإسلام والمسلمين. وشدد على أن الدراسات النقدية المبنية على الوثائق وكتب المصادر والكشوفات الأثرية والمراجع، تكشف عن جرائم الإخوان والإسلاميين بحق التاريخ، الذين يريدون خلق تاريخ خطي من زمن البعثة النبوية إلى يومنا هذا، يخدم في النهاية أيديولوجية الجماعة وأهدافها.

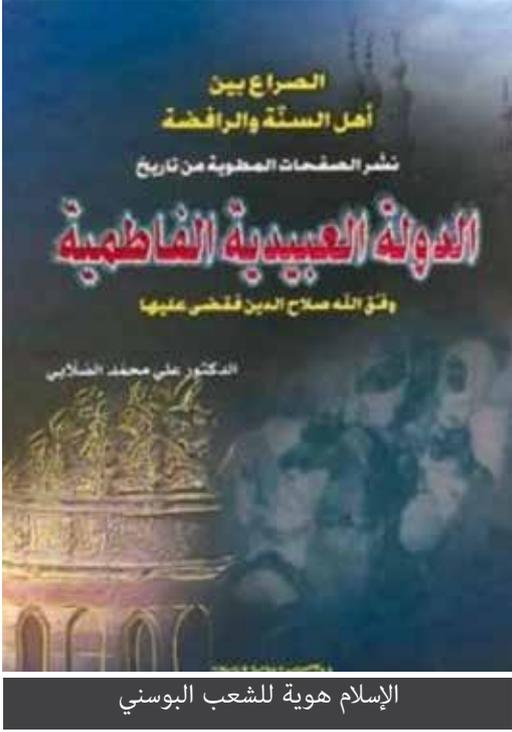
# لماذا صنع الإخوان المسلمون من (علي عزت بيجوفيتش) رمزاً دينياً؟

حين زار الرئيس التركي رجب طيب أردوغان القاهرة عقب أحداث الربيع العربي، نصح المصريين بالعمل على بناء دولة علمانية، مؤكداً أنّ الدولة العلمانية لا تعني دولة اللادين. مثلت تلك التصريحات النقيض من الصور الذهنية التي صنعها الإخوان المسلمون في مصر عن أردوغان، والتي صوّرت فيها النجاحات التي حققها خلال العقد الأول من رئاسته الحكومة على أنّها نجاح للإخوان المسلمين ونهجمهم.

موقف آخر شبيه بذلك، هو الصورة الذهنية التي صنعها الإخوان المسلمون والتيارات السياسية الإسلامية بشكل عام للزعيم الوطني البوسني، الرئيس الراحل علي عزت بيجوفيتش، فقد جعلوا منه فيلسوفاً إسلامياً ومجاهداً، وجعلوا من قضية البوسنة والهرسك قضية إسلامية. فهل كان بيجوفيتش مثل هذه الصورة؟

## حرب عرقية

رغم أنّ التمايز الأساسي بين الجهات المتحاربة في الحرب البوسنية (١٩٩٢-١٩٩٥) كان على أساس عرقي - ديني، إلا أنّها لم تكن بأيّ حال حرباً دينية؛ إذ أنّ الولايات المتحدة والغرب وقف إلى جانب البوشناق، وهم (مسلمو البوسنة والهرسك)، والكروات (مسيحيون كاثوليك)، ضد الصرب وهم (مسيحيون أرثوذكس). كما أنّ الحرب البوسنية هي حلقة من الحلقات الأخيرة في عهد دولة يوغوسلافيا التي تكونت من الدول التالية المستقلة: صربيا والجبل الأسود وسلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وكوسوفو.



خلال الحرب في البوسنة برز الزعيم البوسني علي عزت بيجوفيتش، الذي تولى رئاسة البوسنة بعد الاستقلال، والذي تحول لاحقاً إلى أسطورة في العالم الإسلامي، ووصفته قناة (الجزيرة) بـ «المجاهد المجتهد».

يقول الباحث في قضايا الحركات الإسلامية هاني عمارة: إنّ قضية البوسنة صوّرت على أنّها قضية دينية إسلامية، لكنّها في الغرب كانت قضية ديمقراطية، بينما كان الهدف الغربي هو تحطيم دولة يوغوسلافيا،

رغم أنّها لا ينطبق عليها مسمّى الشيوعية كما كان الاتحاد السوفييتي، وكانت علاقاتها جيدة بالولايات المتحدة والغرب، وفتحت البلاد للأجانب، وكانت دولة صناعية واقتصادية كبيرة اقتصادياً، لكنّ الغرب خطط لتدميرها.

الجدير بالذكر أنّ قضية البوسنة والهرسك اشتعلت بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وبعد الحرب الروسية الأفغانية، التي شهدت توظيف الولايات المتحدة، بالتعاون مع دول إسلامية على رأسها باكستان، للدين الإسلامي في الحرب ضد الاتحاد السوفييتي. خلال تلك الفترة دُعمت الجماعات السلفية الجهادية التي قاتلت بجانب التشكيلات المسلحة الأفغانية، كما شهدت تلك الفترة تأسيس تنظيم (القاعدة) في باكستان.

في ظل تلك الأجواء تحولت قضية البوسنة والهرسك إلى قضية إسلامية، والتحقّت أعداد محدودة من المحسوين على تنظيم (القاعدة) و(حزب الله) اللبناني للقتال إلى جانب القوات البوسنية، التي كانت تقاوم قوات العرق الصربي، بينما تحالفت معظم الوقت مع قوات العرقية الكرواتية. وفي العام ١٩٩٩ شنّ حلف الناتو هجمات جوية واسعة النطاق ضد دولة صربيا والجبل الأسود-التي انقسمت عام ٢٠٠٦ بين صربيا والجبل الأسود- وذلك بسبب الأزمة في كوسوفو، ممّا

## «تبع أهمية مؤلفات بيجوفيتش من كونها تعبيراً عن الهوية البوسنية التي تعرّضت لتأثيرات كبيرة أثناء التوجهات الشيوعية لدولة يوغوسلافيا.»

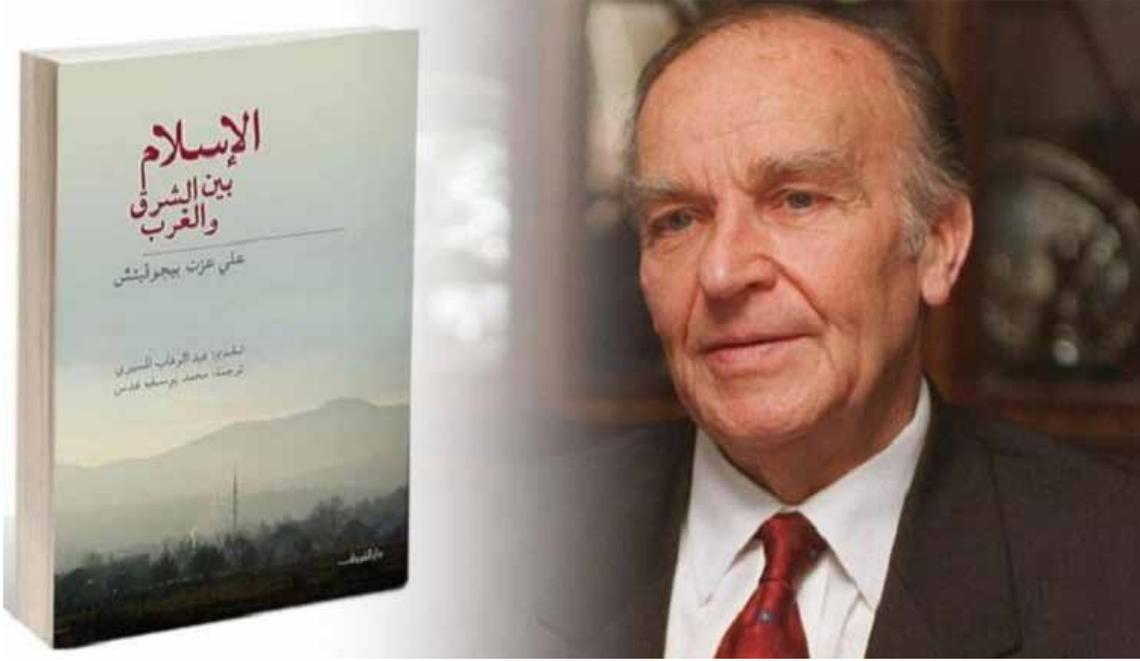
يثبت ثانياً أنّ الموقف الغربي من تفكيك يوغوسلافيا، التي كانت عضواً مؤسساً في حركة دول عدم الانحياز، إلى جانب مصر والهند ودول أخرى، لم ينبع بأيّ حال من منطلقات دينية، دون استبعاد توظيف الدين خلال تلك الفترة.

### توظيف الإسلام

يرى هاني عمارة أنّ الإخوان المسلمين ساعدوا الدول الغربية في الحرب ضد الشيوعية، وكانوا يسعون لتحويل القضية البوسنية إلى قضية المسلمين ضد المسيحية، لكنّها كانت حرباً عرقية في الأساس، في منطقة البلقان التي يختلط فيها العرق بالدين، ولهذا فالإسلام عند البوشناق هو قومية في المقام الأول.

أمّا عن سبب التركيز على بيجوفيتش، فقد قال: إنّ أسلمة القضية البوسنية كانت تتطلب زعيماً إسلامياً من تلك المنطقة، فكان ذلك هو بيجوفيتش، على الرغم من أنّه يُصنّف كيساري ولا يُعتبر مفكراً أو رمزاً إسلامياً بأيّ حال، وهو مثل روجيه جارودي. ولفت إلى أنّ الإخوان المسلمين الذين يجلون مؤلفات بيجوفيتش هم في الحقيقة لم يأخذوا منها سوى العناوين.

في كتابه «الإسلام بين الشرق والغرب» يظهر بيجوفيتش كرجل أوروبي يتبنّى رؤية إسلامية تجديدية في إطارها العام، دون احتكاك بالقضايا الإسلامية التي تشكل جزءاً كبيراً من أزمة الفكر في الدول العربية والإسلامية. كتب: إنّ «أيّ تلاعب بالناس، حتى ولو كان في مصلحتهم، هو أمر لا إنساني، أن تفكّر بالنيابة عنهم، وأن تحررهم من مسؤولياتهم والتزاماتهم، هو أيضاً لا إنساني». وفي موضع آخر كتب: «فإذا وجدنا خصوماً للثورة في نطاق الدين، فهم خصوم ينتمون إلى الدين الرسمي فقط، أي إلى الكنيسة ونظامها الإداري الهرمي، أو الدين المؤسسي



بيجوفيتش: يوجد ملحدون على أخلاق، ولكن لا يوجد إلهاد أخلاقي

الزائف. وعلى العكس، فإنّ الثورة الزائفة، أي الثورة التي تحولت إلى مؤسسة وإلى بيروقراطية، تجد دائماً حليفها في الدين الذي تحول هو أيضاً إلى مؤسسة وإلى بيروقراطية. فما أن تبدأ الثورة تكذب وتخدع نفسها حتى تمضي مع الدين المزيف يداً بيداً».

وكتب: «يوجد ملحدون على أخلاق، ولكن لا يوجد إلهاد أخلاقي. والسبب هو أنّ أخلاقيات اللاّ ديني ترجع في مصدرها إلى الدين. دين ظهر في الماضي ثم اختفى في عالم النسيان، ولكنّه ترك بصماته قوية على الأشياء المحيطة، تؤثر وتشع من خلال الأسرة والأدب والأفلام والطرز المعمارية».

إنّ ما كتبه بيجوفيتش لا يُعتبر بحال «فلسفة»، ولكنّه إنتاج فكري لشخصية بارزة، عاصرت فترات مهمة في تاريخ البشرية واشتبكت معها. وتنبع أهمية مؤلفات بيجوفيتش من كونها تعبيراً عن الهوية البوسنية، التي تعرضت لتأثيرات كبيرة أثناء التوجهات الشيوعية لدولة يوغوسلافيا، ومن قبل تأثرت منطقة البلقان بشكل عام بقرون من الحروب بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، والتي اكتسبت لوقت طويل صفة الحرب الدينية، قبل أن يتخطى عامل الدين فيها، ويصطف الغرب إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية.

# «الباحث هاني عمارة لـ (حفريات): الإخوان المسلمون ساعدوا الدول الغربية في الحرب ضد الشيوعية، وكانوا يسعون لتحويل القضية البوسنية إلى قضية المسلمين ضد المسيحية، لكنّها كانت حرباً عرقية»

## الإخوان والبوسنة

أمّا الدولة ذات التأثير الكبير في أحداث البوسنة، فقد كانت تركيا، التي حكمت لقرون منطقة البلقان ومناطق في وسط أوروبا، بما فيها دولة المجر اليوم، ولهذا سعت إلى تفكيك دولة يوغوسلافيا، للنفاد إلى الأقليات المسلمة في البوسنة وكوسوفو، بهدف استعادة أمجاد دولتهم، كما حاولوا في المنطقة العربية بعد الربيع العربي.

يقول الباحث عمارة: إنّ «تركيا كانت عزّاب حرب إسقاط يوغوسلافيا، وهي من قادت العالم الإسلامي بذريعة إسلامية، كما فعلت باكستان في أفغانستان أثناء التواجد السوفييتي فيها». وتابع أنّ الشعب البوسني لا يدين بالإسلام بالطريقة نفسها السائدة في الدول العربية والإسلامية؛ إذ تحولت الطقوس الدينية إلى عادات اجتماعية لديهم.

وحول تواجد جماعة الإخوان المسلمين في البوسنة والهرسك، جاء في التقرير الصادر عن مشروع مشترك بين مركز جلوبسيك (GLOBSEC) ومشروع مكافحة التطرف (CEP)، من إعداد أندريا مارينكوفيتش، ومارتينا فالوشياكوفاف، وفيكاتور ساكس، أنّ جماعة الإخوان المسلمين في البوسنة، على الرغم من نفوذها في المناصب العليا، موضع خلاف عميق وموضوع جدل عام محتدم؛ لأنّ الكثير من السكان، على الأقل في المدن، علمانيون سياسياً حتى لو كانوا متدينين شخصياً. وترتبط البوسنة ومصر علاقات وطيدة؛ فقد شارك الجيش المصري بقوات حفظ السلام في البوسنة والهرسك إبّان الحرب اليوغوسلافية التي اندلعت عام



هاني عمارة: تركيا كانت عزاب حرب إسقاط يوغوسلافيا

١٩٩١، وشاركت قوات الجيش وعناصر الشرطة المصرية في تنفيذ مهام حفظ السلام ثم إنفاذ السلام وفقاً لقرارات مجلس الأمن الدولي لعام ١٩٩٢. وبين القاهرة وسرايفو علاقات تاريخية ممتدة في الجوانب الثقافية والدينية والسياسية. ولهذا فمن الصعب أن يجد «الإخوان» المساحة نفسها للانطلاق نحو مهاجمة مصر كما كان الحال في تركيا من قبل. من جانب آخر، فالبوسنة والهرسك ليست دولة قومية واحدة تدين بالإسلام على غرار تركيا في مسألة الدين وهيمنة القومية التركية، لكنّها دولة مكوّنة من (٣) عرقيات كبرى؛ البوشناق والصرب والكروات، وتبلغ نسبة الإسلام فيها ٧,٥٠٪.

# الإخوان المسلمون: استغلال المرأة لتمكين الرجال سياسياً

بتجنيب الأحكام القيمية والأخلاقية على جماعة الإخوان المسلمين، يمكن القول أنه لولا الأدوار التي تقوم بها المرأة المنتمية إلى الجماعة، لما كُتِب لها البقاء على مدار العقود السابقة، مع ما تعرضت له من انتكاسات نتيجة اصطدامها وعدائها مع الدولة الوطنية.

ولا يقتصر أهمية دور المرأة على جماعة الإخوان فقط، بل هو دور هام بجميع أشكاله، سواء أكانت المرأة نفسها فاعلة في عمل عام أو داعمة. وعلى سبيل المثال، تلعب المرأة في جماعة الإخوان أدواراً كبرى مباشرة وغير مباشرة، منها تقديم الدعم للرجل الذي يباشر العمل السياسي، وتحمل أعباء كبرى نتيجة هذا الدور، ثم انخراطها في تقوية الجماعة عبر السير بحياتها كأثى لخدمة ذلك الهدف، من خلال ربط اختيار شريك حياتها بأن يكون عضواً في الجماعة.

فضلاً عن ذلك، تُستغل المرأة في العمل السياسي الداعم للجماعة، وقد لا يعتبر ذلك استغلالاً إن كان ذلك نابعاً من إرادة حرة للمرأة وهو الغالب التزاماً منها بخدمة الجماعة، لكن من جانب آخر يعتبر ذلك استغلالاً لأن هذا الدور السياسي الكبير يُقابل بتحقيق من شأن المرأة، عبر وصمها لكونها أثى بصفات تجعل منها غير صالحة لممارسة وتبوأ المناصب الهامة في العمل العام، مع الحفاظ على كونها جندياً لخدمة طموحات الرجال السياسية باسم الدين.

## المرأة في خدمة الجماعة

في تقرير نشره موقع «الجزيرة» للكاتبة زهرة العلا حول أسباب انضمام النساء إلى جماعة الإخوان المسلمين، نقلت الكاتبة عن دراسة الباحثة النرويجية



زينب الغزالي

«Ragna Lillevik» بأنه رغم تناول الباحثة لأسباب ضعف التمثيل السياسي للنساء داخل الجماعة، فإنها أكدت أن حضور المرأة داخل التيارات والحركات الدينية ساهم بشكل واسع في أسلمة المجتمع، وساهم في تكوين شبكات اجتماعية جديدة وسّعت من تغلغل التيار الإسلامي في المجتمع، إلا أن هذا التفاعل مع المجتمع لا يستخدم خطاب وأدوات الحركة النسوية نفسها.

وفي نفس المقال، أشارت الكاتبة إلى أنّ توفير بيئة حاضنة للعمل التطوعي والدعوي للنساء من خلال الشبكات النسائية داخل الجماعة، مكنها من استقطاب الفتيات الراغبات في العمل التطوعي. واستفادت الجماعة من ذلك عبر تشكيل هؤلاء النسوة «قاعدة داعمة لانتشار الجماعة بين أوساط الطبقات الاجتماعية المختلفة قبل ثورة ٢٥ يناير، وفي عدة دوائر لم تستطع النسويات أنفسهن الوصول لها والاحتكاك بها مباشرة، ويعد ذلك عاملاً مهماً في الصعود السياسي للإخوان فيما بعد.»

وإلى جانب التجنيد والاختراق الاجتماعي عبر عضوات الجماعة، لعبت المرأة دوراً كبيراً في خدمة الجماعة، وتحديدًا الطموح السياسي لرجال الجماعة، كما في حالات حشد الأصوات الانتخابية للنساء في أوقات الانتخابات. على سبيل المثال في مصر، وتحديدًا في القرى استغلت نساء الإخوان الصلات الاجتماعية لتنظيم

## «مسؤول قسم الأخوات في مصر دوما ما يكون رجلاً ولم يكن ثمة امرأة واحدة داخل مكتب الإرشاد أو مجلس شورى الجماعة على مدار تاريخها»

نقل السيدات بمختلف فئاتهن التعليمية والعمرية إلى أماكن الاقتراع، وهي ميزة تواصل لا يمكن للرجال القيام بها في البيئات المحافظة.

كما شاركت المرأة الإخوانية في جميع الفعاليات الداعمة للعمل السياسي العام لجماعة الإخوان. وفي الفترة قبل أحداث الربيع العربي كانت المرأة تشارك في الفعاليات التي تنظمها الجماعة، ثم خلال أحداث الربيع العربي توسع هذا الدور لتصدر الصفوف وتشارك في المسيرات والاحتجاجات. كما أنّ الجماعة تقدم المرأة للحديث أمام المنظمات الإنسانية الغربية على وجه الخصوص لكسب التعاطف باسم المرأة.

وكما تسببت مخططات الجماعة وصدامها مع الدولة الوطنية في سقوط ضحايا من المنتمين والمؤيدين للجماعة فالأمر نفسه حدث مع العضوات والمؤيدات للجماعة، اللاتي أيدن مخططاتها وصدامها مع الدولة الوطنية، كما هو الحال في مصر.

### تحجيم المرأة بالدين

وفي تقرير الكاتبة زهرة العلا الذي حاورت فيه عضوات في الجماعة، جاء ما يلي «على الرغم من توفير الجماعة للنساء ساحة آمنة للعمل الدعوي والعام، فإن ذلك لا ينفي وجود قصور في تعامل جماعة الإخوان المسلمين مع ملف المرأة، سواء في عدم تمكينها للمرأة سياسياً ولا تقلدها لمناصب قيادية، وحصص دورها في التعبئة والحشد.» وأشارت الكاتبة إلى ملامح هام للنظرة الدونية لرجال جماعة الإخوان إلى المرأة، كتبت «حتى إن مسؤول قسم الأخوات في مصر دوما ما يكون رجلاً، ولم يكن ثمة امرأة واحدة داخل مكتب الإرشاد أو مجلس شورى الجماعة على مدار تاريخها.»



حضور المرأة داخل التيارات والحركات الدينية ساهم بشكل واسع في أسلمة المجتمع

لكن كيف نجحت الجماعة في الحصول على كل هذه المكاسب من المرأة، مقابل عدم منحها شيء يذكر سوى الحديث عن العمل التطوعي، الذي توفره مؤسسات أهلية ومدنية عديدة. يقدم مقال الكاتبة ندى جمال في موقع «إخوان أونلاين» بعنوان «المساواة المستحيلة بين الرجل والمرأة» مثلاً على توظيف الإخوان للدين لإبقاء المرأة في الأدوار التي تخدم الرجال في الجماعة.

افتتحت الكاتبة مقالها باستنكار قائلة «نجحت العلمانية في إقناع بعض المجتمعات بوجوب المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة في كل شيء؛ في السياسة، والعمل، والحياة الاجتماعية، وفي كل الحقوق وكذلك في كل الواجبات.» وترى أنّ هذه المساواة «مصادمة لكل من الفطرة والواقع، فالفطرة والواقع في كل المجتمعات يقولان بلسان الحال والمقال: إن الذكر ليس كالأنثى؛ (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى)، وأن قدرات الرجل تختلف اختلافاً كاملاً عن قدرات النساء.»

## «نسرین الریش لـ» حفريات: على مستوى قضايا المرأة بشكل عام لا يختلف أعضاء الإخوان عن غيرهم ممن يبررون الكثير من التحيز ضد المرأة باسم الدين»

أما ما يميز المرأة بحسب الكاتبة، فهو الحنان والصبر والحب، والتعامل مع الأطفال، وحب التزين والتجمل، والاهتمام بالملابس والذهب والأثاث. وتقول الكاتبة عن المرأة «هي أكثر ارتباطاً بالقرار في البيت من الرجل.»

ولا خلاف على تلك الرؤية التقليدية لمكانة المرأة في المجتمع حين تخرج من الدعوات السلفية التي تطبق ذلك في دعوتها، وتصرح بذلك علانية، لكن حين يكون الأمر مع جماعة الإخوان المسلمين فذلك هو عين التناقض؛ كَوْن الجماعة توظف المرأة سياسياً في المقام الأول دون اعتراف بهذا الدور أو عدم القيام به التزاماً بما تروج له نظرياً.

أما لمواجهة أي طموح سياسي للمرأة، فجاء في مقال الكاتبة «الرجل في المقابل أقدر على النجاح في مجالات العمل خارج البيت، وخاصة في المجالات السياسية والعسكرية والتجارية، وأقل رغبة في إنفاق المال.» ومقابل هذه الحديث، من المعروف أنّ المرأة في جماعة الإخوان المسلمين لا تقرّ في البيت، بل تنشط في الفعاليات السياسية والدعوية والترويجية لخدمة جماعة الإخوان المسلمين، لكن مثل هذا الخطاب مطلوباً لحصر المرأة في أداء وظائف سياسية يجني الرجال مكاسبها بالمناصب القيادية.

### المرأة والعمل العام

تقول رئيسة منظمة جنى وطن السورية، نسرین الریش، بأنّ أغلب العاملين في منظمات الإخوان المدنية من الرجال، ويسمحون بتواجد للمرأة في عدد من المنظمات من أجل الظهور بمظهر تمكين مشاركة المرأة، لأن ذلك مطلوباً أمام المجتمع الغربي.



نسرین الرش: الإخوان المسلمین بعیدين عن مفاهيم حقوق المرأة

وأضافت لـ«حفریات» بأنّ الإخوان لا يؤمنون بقضايا الجندر وحقوق المرأة، ولديهم رؤية لمكانة المرأة تقوم على إكمال دور الرجل، بما يحقق أهدافهم في نهاية المطاف وهي المشاركة في السلطة سواء عن طريق المعارضة أو الاتفاق مع النظام كما في الحالة السورية.

وتوضح الناشطة الحقوقية، بأنّ الإخوان يبررون وجود المرأة في العمل الدعوي والمدني لكي تتواصل مع النساء، سواء في البيوت أو في تجمعات خاصة بالمرأة، لكن ليس من كونها عضو فاعل ينافس على الأدوار كافة داخل الجماعة أو المجتمع، ولهذا لا وجود للنساء في أدوار قيادية، إلا لو كانت هناك حاجة لذلك، ووقتها يكون الدور القيادي من نصيب بنات القادة، مع رسم خطّ الحركة لهن.

وأفادت نسرین الرش بأنّ جماعة الإخوان تتصف بالطبقية فيما يتعلق بالخطاب الموجه للمرأة؛ بين خطاب لا يختلف عن الرؤى الدينية المتطرفة ويوجه لعوام الناس، وآخر مخصص لبنات الطبقة الأعلى من الجماعة والمجتمع، يختلف في المضمون والأسلوب. وتابعت بأنّه على مستوى قضايا المرأة بشكل عام لا يختلف أعضاء الإخوان عن غيرهم ممن يبررون الكثير من التحيز ضد المرأة باسم الدين، كما في قضية العنف الأسري، الذي يجد تبريره في نصوص دينية، وكذلك في الترويج لفكرة تعدد الزوجات.

# الإخوان والخصوم: تشهير بالأعراض وتحريض على القتل

من بين الأمور التي أتاحتها تجربة الإخوان المسلمين في أحداث الربيع العربي التي انطلقت عام ٢٠١١، وتبعاتها التي ما تزال مستمرة إلى اليوم، بعد مرور أكثر من ١٢ عاماً، هي قضية التعامل مع الخصوم. تتبع أهمية تلك القضية من كونها معياراً لقياس مدى صدق الشعارات الرنانة التي ترفعها الجماعة عن الديمقراطية وتداول السلطة والحقوق والعدالة.

كان لافتاً أنّ تشر الجماعة عبر قنواتها على «تيليجرام» ورقة بعنوان «ضوابط ومنطلقات لفهم المواقف السياسية للإخوان» من إعداد عضو مكتب الإرشاد بجماعة الإخوان المسلمين، محمد عبد الرحمن المرسي. قام المرسي بإظهار جماعته بشكلٍ مثالي في تعاملها مع الخصوم، متجاهلاً عن عمد أنّ التجربة السياسية للإخوان المسلمين في مرحلة ما ظنت الجماعة أنّها التمكين كشفت عن زيف تلك الادعاءات التي حاول الترويج لها.

## لا شرف في الخصومة

كتب المرسي «جماعة الإخوان لها أسلوبها وضوابطها في مسألة المعارضة السياسية ومواجهة الخصوم ممن يختلف معها من أبناء الوطن، حتى ولو كان صاحب سلطة فيها تجاوز وانحراف.» وذكر من الضوابط ما يلي؛ الأخلاق الإسلامية التي لا يمكن تجاوزها، ومراعاة شرف الخصومة، والحرص على عدم تجريح الأشخاص والهيئات، ومراعاة آداب الخطاب الموجه لصاحبه، والتعميم عند النقد، والرد بالمثل على من تجاوز في حقها، أو الانصراف عنه مع الالتزام بآداب القول وأخلاق الإسلام.



منير أديب: الإخوان لا يعترفون بالوطن

وكتب: «نحن لا ندعي المثالية، أو أننا فوق الجميع، ولكننا نؤمن بهذه الضوابط، ونجاهد للالتزام بها، ونتمنى أن تكون هي المناخ السائد بين مختلف القوى الوطنية والسياسية.»

وبخلاف ما يدعيه الكاتب، قدمت الفترة بين ٢٥ كانون الثاني (يناير) في مصر عام ٢٠١١ حتى ٣٠ حزيران (يونيو) ٢٠١٣ فرصة فريدة لتبيان صحة دعاوى الإخوان. في تلك الفترة ظنت الجماعة أنّها وصلت إلى مرحلة التمكين، بعد هيمنتها على القرار السياسي في مصر، مع تحقيق نجاحات كبيرة في تونس والمغرب وليبيا، وفوق كل ذلك نيلها القبول والدعم الغربي لتكون بديلاً للنظم السياسية في المنطقة.

في تلك الفترة حدثت العديد من الصدمات بين معسكر المحتجين وجماعة الإخوان المسلمين، بسبب الخلاف حول المسار المفترض لبناء النظام السياسي كما في حالة مصر. بالعكس مما يروج له عضو مكتب الإرشاد وما كتبه مؤسس الجماعة حسن البناء، قامت الجماعة بتوظيف المنبر الديني ضد الخصوم، وتشويه الأفكار التي يتبنوها من علمانية وليبرالية واشتراكية، فضلاً عن تجييش المجتمع ضدهم.

## «شنت الجماعة حملات تشهير واسعة طالت جميع من عارض هيمنة الإخوان على شؤون البلاد وشملت الطعن في الأعراض والتهديد بالقتل والتعدي بالعنف البدني»

ولاحقاً في محطات خلافية أخرى، شنت الجماعة والمنتسبين إليها حملات تشهير واسعة طالت جميع من عارض هيمنة الإخوان المسلمين على شؤون البلاد، وشملت الطعن في الأعراض والتهديد بالقتل والتعدي بالعنف البدني. وحين تولى محمد مرسي رئاسة الجمهورية، استخدمت الجماعة الشباب لفض الاعتصامات المناوئة لها بالقوة، كما في حادث فض اعتصام المتظاهرين أمام قصر الاتحادية.

يقول الباحث في شؤون الحركات المتطرفة والإرهاب الدولي، منير أديب، بأنّ هناك رؤية نظرية وضعها المؤسس الأول وأعطاهها مسمى ضوابط، ترتبط بعدم التجريح في الهيئات أو الأشخاص أو الدولة، لكن ذلك كلام نظري ليس له علاقة بالواقع. وذكر لـ«حفريات» بأنّ الإخوان هم أكثر التنظيمات التي تقوم بالتجريح في الأشخاص والهيئات وتسعى لإسقاط الأوطان.

وأفاد بأنّ فكرة الخصومة السياسية لدى الإخوان قائمة على فكرة الاغتيال المعنوي للخصوم والمختلفين، لمجرد الاختلاف في الرأي، ولهذا كل من هو ضد التنظيم الفكرة والدعوة يتم اغتياله معنوياً إن لم يكن جنائياً.

### العودة إلى مرحلة الاستضعاف

وفي موضع آخر من الورقة المنشورة لعضو مكتب الإرشاد، جاء ما يلي «يصدر الإخوان في تحديد نهجهم ومواقفهم السياسية عن عمل وموقف مؤسسي، أي بالرجوع لمؤسساتهم، واستعمال الشورى.» وتعتبر تلك الجملة عن حالة التناقض التي يعيش فيها الفرد المنتمي إلى الإخوان المسلمين؛ إذ بينما تؤكد الجماعة على العمل المؤسسي والشورى نظرياً، تعيش الجماعة واحدة من أشد



سامح عسكر: تكتيك هدفه تصدير صورة معقولة

فتراتهما في الانقسام وتفكيك كل ما له صلة بالمؤسسات.

يعلق منير أديب، بأنّ الأفكار النظرية عند الإخوان المسلمين لا علاقة لها بالواقع، وهي مجرد نظرية. ونوه بأنّ التطبيق والسلوك يؤكد على أنّ التنظيم سلوكه في جانب وأفكاره في جانب آخر، ولهذا فهم الأكثر اغتيالاً للأشخاص والهيئات ومحاولة إسقاط الوطن.

من جانبه، يرى الباحث في التاريخ

والفكر الإسلامي، سامح عسكر، بأنّ نشر تلك الكتابات نابع من رغبة في الميل إلى الهدوء لدى الجماعة، بغرض التثبيت وجذب الأنصار. وقال لـ«حفریات» تهدف الجماعة إلى «تثبيت أنفسهم سياسياً وروحياً واجتماعياً لتجنب الدمار، لأنّ الاندفاع معناه الدمار.»

وأفاد عسكر بأنّ مثل هذا الخطاب هو تكتيك وليس مبادئ رئيسية تلتزم بها الجماعة، وهدفهم تصدير صورة معقولة، على غرار ما قبل العام ٢٠١١ في مصر، حين كانوا يتبنون خطاب التسامح والقبول، لكن حين وصلوا إلى السلطة أثبت الواقع حقيقتهم التي تخالف كل تنظير لديهم.

وأشار عسكر إلى أنّ أي جماعة تهدف إلى التمكين وخصوصاً الإخوان المسلمين حتماً تنتهج العنف والشراسة، لأنّه لا تمكين دون عنف. ولفت إلى أنّ الغالب على سلوك أفراد الجماعة هو الاندفاع والغضب والتهور، ولهذا تأتي مثل هذه الخطابات لتعيد برمجة الأفراد، لأنّ الهدف الأساسي للجماعة هو العودة والرجوع إلى الأوضاع السابقة.

# «الباحث سامح عسكر لـ«حفريات»: الغالب على سلوك أفراد الجماعة هو الاندفاع والغضب والتهور ولهذا تأتي مثل هذه الخطابات لتعيد برمجة الأفراد»

## الإخوان والأوطان

وفي الورقة المنشورة لعضو مكتب الإرشاد، ذكر من ضمن ثوابت الجماعة، ما يلي «الجماعة دائماً تجعل الحفاظ على الوطن، ونشر الخير فيه، وتحريره من كل سلطان أجنبي، من أهدافها الرئيسية، وهي في سبيل ذلك تجعل مصلحة الوطن والأمة فوق مصلحة الجماعة، ما لم يتعارض الأمر مع هذه الأهداف العليا.»

وربما يقصد الكاتب بالأهداف العليا تحقيق مصالح الجماعة، وعلى سبيل المثال حين أزاحت ثورة ٣٠ يونيو الشعبية في مصر بالجماعة من السلطة، لجأت إلى انتهاج سبيل الإرهاب انتقاماً من المجتمع المصري، وخاصة المواطنين المسيحيين.

يعلق الباحث في شؤون الحركات المتطرفة والإرهاب الدولي، منير أديب، بأنّ الإخوان المسلمين لا يعترفون بالوطن، ولا يؤمنون بالدولة الوطنية، ولا يعطون حقاً للمواطنة، وإنما يتعاملون على أنهم أصحاب الرؤية ووجهة النظر وأصحاب الوطن، والمختلفون هم الاعداء.

وأشار إلى أنّ الوطن في فكر الإخوان المسلمين «حفنة تراب نجس» كما قال منظرهم سيد قطب. وتابع بأنّهم يعتبرون المسلم غير المصري أقرب من غير المسلم المصري، ويتعاملون بعنصرية شديدة مع الوطن والمواطنين. ونوه بأنّ رؤية الإخوان للوطن ليست ضبابية، بل عنصرية، وضد كل الأفكار الحديثة التي



الوطن في فكر الإخوان المسلمين «حفنة تراب نجس»

عرفت الوطن والحرية والديمقراطية وشركاء الوطن. وبحسبه فإن الإخوان مثل كل التنظيمات المتطرفة يمثلون خطراً على الأوطان؛ لأنهم يختصرون الوطن في محاولة الصعود إلى السلطة، بدعوى أنهم الذين يمثلون الدين والوطن، ولأنّ الوطن بالنسبة إليهم حفنة تراب، يمكن الاستغناء عنه أو التنكيل بالمختلفين داخله.

# كيف يوظف الإخوان الهجرة النبوية سياسياً؟

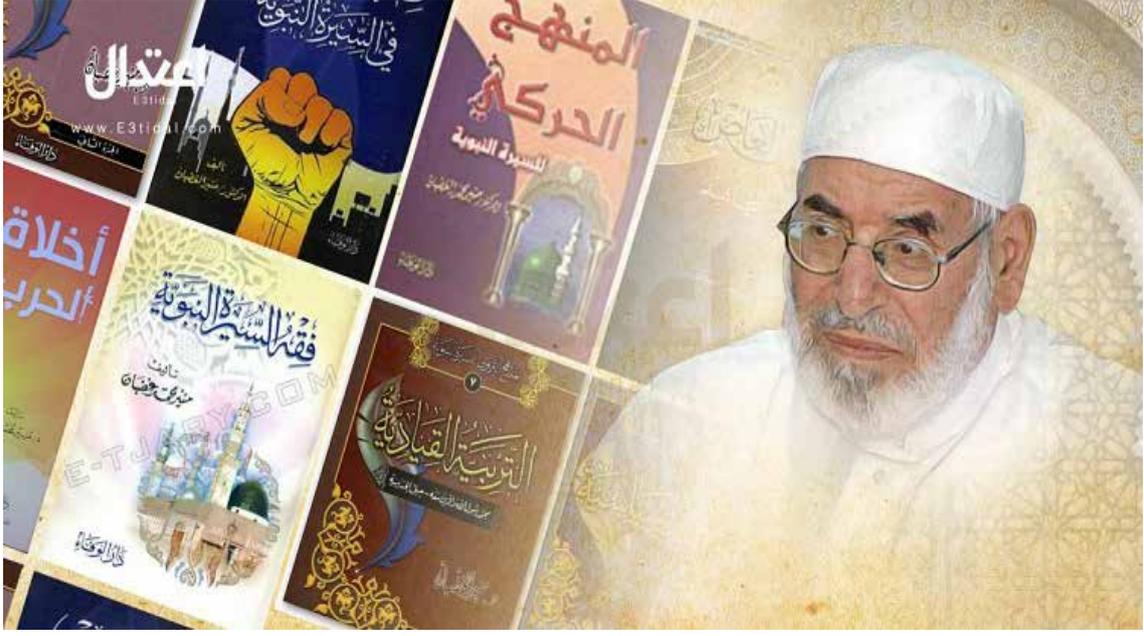
ترى جماعة الإخوان المسلمين في نفسها التطبيق الصحيح للإسلام، ولهذا تُسقط ما جاء في الدين على الجماعة، وعلى رأس ذلك قضية الهجرة النبوية، التي أحتفل بذكرها أمس، والتي تقتدي بها الجماعة وغيرها من الجماعات الدينية المتشددة في تعاطيهم مع المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة.

يقول الباحث في التاريخ والفكر الإسلامي، سامح عسكر، إنَّ الإسقاطات الدينية السياسية هي تكفيرية محضة، سواء اعترفوا بذلك أم لا؛ لأنهم يستمدون معنى الهجرة فيهم، ومعنى المطاردة فيهم، بينما الآخر هو الذي يمثل من أوقع الأذى وأوجب الهجرة، وهو إسقاط لثنائية الإسلام والكفر على واقع المسلمين اليوم.

## السيرة الحركية

مع حلول رأس العام الهجري الجديد، وذكرى الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، نشطت صفحات جماعة الإخوان المسلمين في التذكير بفضل الهجرة، واستخلاص الدروس والعبر منها، مع إسقاط ذلك على واقع الجماعة.

في كتابه «المنهج الحركي للسيرة النبوية» كتب المؤلف القيادي الإخواني السوري، منير الغضبان حول سبب تأليفه الكتاب: «لا أزال أذكر في بداية الستينات عندما طلع علينا الشهيد سيد قطب رحمه الله بكتابه - معالم في الطريق - وكان نقطة تحول حساسة في الفكر الحركي الإسلامي. وقفت ملياً أمام هذه الفقرة: والسمة الثانية في منهج هذا الدين: هي الواقعية الحركية، فهو حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجتها الواقعية».



على خطى سيد قطب سار منير الغضبان

ويتناول الغضبان السيرة النبوية كمنهج حركي، يريد من الجماعات الإسلامية تطبيقه، للوصول إلى السلطة في نهاية المطاف من أجل إقامة ما يظنه على غرار جماعته الإخوان المسلمين أو من يتشابه معها من الحركات المصنفة إرهابياً بالإسلام.

كتب الغضبان «الأسوة تبدو واضحة أكثر ما تبدو من خلال السيرة العملية للنبي عليه الصلاة والسلام، وأي اعتساف في مراحل هذا المنهج لا يوصل إلى الغاية، والتجارب الكثيرة التي خاضتها الحركات الإسلامية على مدار التاريخ تؤكد هذا المعنى.» وأضاف «فما من حركة إسلامية قامت، وأقامت منهج الله في الأرض إلا اعتمدت التنظيم السري في بداية الأمر، ثم انطلقت إلى إعلان فهمها الحركي للإسلام، من خلال الحكمة والموعظة الحسنة، ثم واجهت المجتمع المنحرف جاهلياً كان أو فاسقاً. وتسمنت سدة الحكم، واعتمدت القوة للحفاظ على المبدأ من الحرب المسلحة التي شنّها أعداؤه عليه.»

وتابع «بينما بقيت قضية اعتماد السلاح والقوة في مرحلة الدعوة أمراً اجتهادياً متقيداً بطبيعة الحرب مع العدو أو الخصم.»

يبدو مما سبق أنّ جماعة الإخوان المسلمين ترى في المجتمعات العربية

## «الإخوان يرون في الهجرة النبوية معاني عديدة تنطبق عليهم ، منها المطاردة والتهديد، والرغبة في تحسن الأحوال، ولهذا يمنون أنفسهم بحصول ما حدث مع النبي بإقامة الدولة»

وذاوات الأغلبية المسلمة ما ذكره سيد قطب بـ«الجاهلية»، وتسعى من خلال دعوتها إلى إخراج الناس من ضلالهم إلى نور الإيمان، وكأنّ ملايين المسلمين بما لديهم من مؤسسات دينية ومفكرين وباحثين، كانوا على ضلالة حتى بدأ حسن البنا ومنظرو الإخوان الحديث عن الإسلام.

### التوظيف السياسي للهجرة

يرى الباحث سامح عسكر، أنّ حادث الهجرة ذو طابع سياسي؛ حيث هاجرت جماعة كانت مهددة إلى مكان آخر، بسبب التهديد النابع من السياسة. وقال لـ«حفريات» بأنّ فكرة الهجرة النبوية محفزة للسياسة، ولأنّ قوام أيديولوجية الإخوان المسلمين هي السياسة، يحدث التطابق، وتخدمهم فكرة الهجرة في تحقيق هدفهم.

وأشار عسكر إلى أنّ الإخوان يرون في فكرة الهجرة العديد من المعاني المرتبطة بواقعهم، في ظل معاناتهم السياسية والاجتماعية والفكرية، على غرار تجاربهم منذ أكثر من عقد في الدول العربية. وأفاد بأنّ الإخوان المسلمين أقرب إلى فكر الخوارج؛ فهم يؤمنون بأنّ الإسلام فيهم وليس في غيرهم، وحتى لو تنازلوا ولم يكفروا المجموع، فهم يرون الصلاح والأهلية الدينية فيهم فقط.

ونوه إلى أنّ الإخوان يرون في الهجرة معاني عديدة تنطبق عليهم، منها المطاردة والتهديد، والرغبة في تحسن الأحوال، ولهذا يمنون أنفسهم بحصول ما حدث مع النبي في المدينة، من إقامة الدولة. وذكر عسكر أنّ الهجرة تعتبر لدى الإخوان من البشريات؛ كان المسلمون في أزمة ومنّ الله عليهم بالفتح والنصر،



سامح عسكر: الإخوان أقرب إلى فكر الخوارج

لكن ما وراء تلك المعاني أنّ الإخوان يرون في خصومهم اليوم أعداء للدين، ولهذا فإسقاط الهجرة على الواقع اليوم هو تكفيري بحت.

وفي كتابه عن السيرة الحركية، ذكر منير الغضبان أنّه تابع خطى سيد قطب في عمله «في ظلال القرآن»، لإخراج منهج حركي إسلامي، يهدف إلى تحقيق الغايات الدينية، والتي تابع سيد قطب فيها، وهي «إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً،

وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، لا بقهرهم على اعتناق عقيدته، ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة، بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها، والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها.»

## التكفير الخفي لدى الإخوان

يتضح من كلام قطب تبنيه لمنهج التكفير أو بالحد الأدنى اعتقاده بضلال المسلمين اليوم، وضرورة إسقاط الأنظمة السياسية الحديثة من أجل إقامة دولة إسلامية تحكمها جماعة الإخوان المسلمين، التي ستقود أكثر من مليار مسلم إلى الدين الحق، ثم تتجه لانتشار نحو أقل من ٧ مليار إنسان لا يدين بالإسلام من الكفر.

متابعة الغضبان وجميع أفراد الإخوان المسلمين لسيد قطب في فكره، دون تقديم قراءات نقدية ترفض هذا النهج التكفيري، دليل على تكفير أو الحكم بضلال كل من لا ينتمي إلى جماعة الإخوان المسلمين.

## «الباحث منير أديب لـ«حفريات»: توظيف الهجرة النبوية توظيفاً سياسياً ديدن كل الجماعات الإسلامية. وهناك ضرورة لقيام المفكرين ورجال الدين والمؤسسات الدينية بتفكيك هذا التوظيف السياسي للدين»



منير أديب: توظيف الهجرة ديدن كل الجماعات الإسلامية

ولهذا تؤمن الجماعة بضرورة العمل السري، لأنّ هدفها الإطاحة بالأنظمة السياسية والمؤسسات الاجتماعية والقوانين، من أجل فرض رؤيتها على العالم. وفي سبيل ذلك توظف الجماعة المراحل التاريخية الطبيعية لدعوة النبي محمد، عليه السلام، مع إسقاط تهم الكفر على الآخر.

يقول الباحث في شؤون الحركات المتطرفة والإرهاب الدولي، منير أديب، بأنّ توظيف السيرة النبوية عموماً، والهجرة النبوية على وجه الخصوص توظيفاً سياسياً، ديدن كل الجماعات الإسلامية. وأضاف بأنّ تلك الجماعات وظفت ذلك واعتبرت أنّ فكرة الهجرة من مكة إلى المدينة، وإنشاء دولة في المدينة هي المرحلة الأهم، التي ربما وصل إليها النبي.

أما الفترة المكية فهي فترة ابتلاء. ونوه أديب لـ«حفريات» إلى أنّ تنظيم الإخوان يُسقط ما حدث مع النبي، عليه السلام، في مكة على ما يعانيه من تشرذم وفرار، وكأنّ التنظيم يمرّ بفترة مكية سينتقل بعدها إلى الفترة المدنية، وفي هذا يتفق الإخوان وداعش والقاعدة.

وأوضح الباحث في شؤون الحركات المتطرفة والإرهاب الدولي، أنّ هذا الإسقاط سياسي، ليس له علاقة بالفترة الدعوية التي عاشها النبي، وهو توظيف سياسي مرفوض للدين، وخارج عن السياق، لخدمة أجندة هذه التنظيمات وأهدافها.

ويحذر منير أديب، من خطر اعتماد تلك الجماعات ونشر مثل هذه التفسيرات للهجرة النبوية، وضرورة قيام المفكرين ورجال الدين والمؤسسات الدينية بتفكيك هذا التوظيف السياسي للدين.